Al Jinan الجنان

Volume 14 Article 11

2021

Economic, social, political and psychological factors of Janissary weakness and decendence 1512 - 1826

Ali Omar
jinan university, generalaliomar65@gmail.com

Follow this and additional works at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/aljinan

Part of the History Commons, and the Islamic Studies Commons

Recommended Citation

Omar, Ali (2021) "Economic, social, political and psychological factors of Janissary weakness and decendence 1512 - 1826," *Al Jinan الجنان*: Vol. 14 , Article 11.
Available at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/aljinan/vol14/iss1/11

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Al Jinan الجنان by an authorized editor. The journal is hosted on Digital Commons, an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aaru.edu.jo, marah@aaru.edu.jo, u.murad@aaru.edu.jo.

د.علي عمر
كلية الاداب والعلوم الانسانية
قسم التاريخ الإسلامي
جامعة الجنان

Dr. Ali Omer
Faculty of Literature and Humanities
Department of Islamic History
Jinan University

عوامل ضعف فرقة الإنكشارية وانحطاطها
اقتصادية ـ اجتماعية ـ سياسية ـ نفسية
١٥١٢-١٨٢٦م

Economic, social, political and psychological factors of Janissary weakness and decendence 1512 - 1826

DOI: 10.33986/0522-000-014-011

ملخص البحث

تحول الإنكشارية من جيش حامي للدولة ومصدر قوتها، الى مصدر للفساد والضعف والتنافس، بحيث وجهوا اسلحتهم التي حققوا بواسطتها النصر على الأعداء، الى صدور السلاطين والصدور العظام، واستباحوا قتل الأبرياء وتعرضوا للأسواق بالحرق والنهب والسلب، مما أصاب الدولة بالدمود والوهن وتوقف الفتوحات.

كان هذا التخلف نتيجة طبيعية لعدة عوامل اقتصادية، منها إقدام اليهود على غش العملة التي كانت تدفع رواتب للإنكشارية وخفض قيمتها، الأمر الذي كان يدفعهم للتمرد والمطالبة بزيادة الرواتب واستبدال العملة، كما كان التأخر في دفع الرواتب سبباً للتمرد والعصيان وكذلك نضوب الغنائم بسبب توقف الفتوحات .

بالإضافة الى بعض العوامل الإجتماعية كالسماح لهم بالزواج ،بعد الحظر الذي فرضه عليهم السلاطين،مما أغرقهم في المشاكل الزوجية والعائلية.

ومن العوامل السياسية التي ادت الى ضعف الانكشارية، تقاعس السلاطين عن المشاركة بالحروب على رأس الجيوش، إعتباراً من عهد السلطان سليمان الثاني، وتخلفهم عن حضور رئاسة جلسات الديوان الهمايوني، وعن مراقبة أعماله، فاستطابوا الاقامة في قصورهم، مما أدى الى اهتزاز مركز السلاطين في نظر القوى العسكرية . قابل ذلك ازدياد قوة ومتانة الصدر الأعظم والآغا الإنكشاري.

ومن عوامل الضعف ايضاً بروز سلطة الحريم، نتيجة تخلي السلاطين عن تدريب أبنائهم عل الحروب، وانخفاض كفاءتهم وخبراتهم الإدارية.

بالإضافة الى ذلك النزاعات التي كانت تحصل بين الإخوة على تولي السلطة وتدخل الانكشارية لحسم النزاع. وكان تطابق مصالح الطبقة الدينية مع مصالح الإنكشارية، وإسباغ تصرفاتهم بالصبغة الشرعية من أهم عوامل الضعف والتردي، التي أدت الى فقدان الإنضباط والتسلط على الآمنين ومطالبتهم بالعطايا والبخشيش.

ويعتبر انضمام الأعداد الكبيرة من أبناء الإنكشارية وبعض الجاليات الأرمنية والرومية والإفرنجية والفلاحين والامراء والغواصين الى صفوف الإنكشارية، ومنحهم الإقطاعات الزراعية، والسماح لهم بمزاولة التجارة والأعمال الحرفية، زادت من عوامل ضعفهم وتخلفهم عن اللحاق بالمحاربين، وارتباطهم بإقطاعاتهم وحرفهم.

كل هذه العوامل مجتمعة، جعلت من الإنكشارية قنابل موقوتة، وأدت الى ضعفهم وحوَّلتهم الى مصدر للفساد ،بحيث أصبحوا عبئاً على كاهل الدولة والسلاطين.

Abstract

The Janissaries turned from a protective army for the Ottoman State, and the source of its power, to a source of its corruption, weakness and competition, so that they directed and aimed their weapons, with which, they achieved victory over the enemies, to the chests of the Sultans and the Grand Vizier, and they permitted the killing of the innocent peoples, and subjected the markets to burning, looting and plundering, which afflicted the state with blood and weakness and caused the conquests to cease.

This backwardness was a natural result of several economic factors, including the Jews› deception of the currency that was payed (salaries) for the Janissaries and lowering its value, which pushed them to revolt and demand increases in salaries and exchange of currency, and the delay in paying salaries was a reason for rebellion and disobedience, as well as depletion of the resources due to the cessation of conquests.

In addition to, some social factors such as allowing them to marry, after the ban imposed on them by the sultans, which drowned them in marital and familial problems.

Among the political factors that led to the weakness of the Janissaries were: not participating the Sultans in the wars at the head of their armies, starting from the reign of Sultan Suleiman the Second, and not attending and presiding of the sessions of the Humayuni court, and not monitoring its work, so they desired and satisfied to stay in their palaces, which led to the shaking of the position of the Sultans in the eyes of Military forces. This led to the increase in the strength of the Grand Vizier and the Agha Janissaries.

Among the factors of weakness is the emergence of the power of the harem, as a result of the sultans giving up training their sons for war, and their low efficiency and administrative experience.

In addition to that, the conflicts and disputes that were taking place among the brothers over the assumption of power and the intervention of the Janissaries to resolve the conflicts.

The congruence of the interests of the religious class with the interests of the Janissaries, and the legalization of their actions were among the most important factors of weakness and degradation, which led to the loss of discipline, and to abuse the people and demand them for gifts and tips.

It's considered, the joining of large numbers of Janissaries sons and some Armenian, Roman and Frankish communities, peasants, princes and divers to the ranks of the Janissaries, and granting them agricultural fiefs, and allowing them to engage in trade and craft works, increased the factors of their weakness and their failure to catch up with the warriors, and increased their association with their fiefs and their trades.

All those factors combined, made the Janissaries as ticking bombs, led to their weakness and turned them into a source of corruption, so that they became a burden on the shoulders of the state and the sultans.

المقدمة

منذ بداية إنشائها وحتى منتصف القرن الخامس عشر، اقتصر وجود فرقة الإنكشارية على مجموعات من أسرى الحروب، عملت الدولة على تنشئتهم، بإلحاقهم بتشكيلات الدولة العسكرية أو الحرس السلطاني، واقتصر دورهم على المجهود العسكري الإيجابي في خوض الحروب وتسطير الانتصارات[١].

لكن بعد فتح القسطنطينية على يد السلطان محمد الفاتح، وبغية إعداد هذه الفئات لتولّي مختلف المناصب، أقدم السلطان على بناء مؤسسات علمية كفؤة وقادرة، لعبت دوراً مركزياً في بناء السلطة، وتولّت مختلف المسؤوليات الإدارية والعسكرية في الدولة كما تولّت التنظيمات الصوفية وخاصة الطريقة البكتاشية دور تنشئة هذه الفئة ثقافياً وعقائدياً[٢].

كان الإنكشارية منذ نشأتهم، أقوى فرق الجيش العثماني واعتاها، وأكثرها نفوذاً وشجاعة واستبسالاً في القتال، وقد أسهم نظام الحكم في الدولة العثمانية، بوصول قسم كبير منهم إلى مراتب عالية في المؤسسة العسكرية، وتولى الكثير منهم مناصب قيادية مدنية، سطروا أروع البطولات في ساحات القتال، وشكلوا ثقلاً عسكرياً كبيراً لمصلحة الدولة في الحروب.

لقد أبلوا بلاءً حسناً في كافة المعارك التي خاضها العثمانيون إبّان قوّتهم، حيث كانوا يندفعون كالأسود في ساحات القتال[٣].

لكن مع مرور الزمن بدأ الوهن يتسرب الى صفوفهم، عندما اختلطوا بالمدنيين، وكثرت تعدياتهم وفسدت طبيعتهم وتغيرت أخلاقهم وتبدلت مهمتهم، وتعلقت أفئدتهم بشهوة السلطة، وانغمسوا في الملذات والمحرمات، وشق عليهم أن ينفروا في أوقات البرد الشديد، ومالوا الى النهب والسلب والغزو، وتحولوا إلى عبء ثقيل على الدولة، ومراكز قوة خطيرة[٤]منذ نهاية القرن الخامس عشر، نتيجة إحساسهم بأهميتهم ومقدرتهم القتالية[٥].

كما مارسوا مختلف وسائل الضغط على السلاطين، من حركات تمرد وعصيان، للحصول على مطالبهم الشخصية حيناً، وللتدخل في أمور السياسة العليا للدولة أحياناً أخرى، فقاموا بالتعرض للسلاطين والصدور العظام، من قتل وعزل وإساءات، وارتكبوا أبشع المنكرات[٦]، وبلغ

١- حسن الضيقة، الدولة العثمانية الثقافة والمجتمع والسلطة، دار المنتخب العربي، بيروت ١٩٩٧م، ص ٩٠ -٩١.

٢- حسن الضيقة، المرجع نفسه، ص ٩١-٩٣.

٣- نهدي صبحي الحمصي، أضواء كاشفة على الخلافة العثمانية، دار لبنان للطباعة والنشر بيروت ٢٠٠٢-٢٠٠٣م ، ص ٦٣-٦٤ .

٤- محمد التونجي، بلاد الشام إبان العهد العثماني، دار المعرفة، بيروت٢٠٠٤م، ط١، ص ٩١.

5- H.A.R. Gibb and Harold Bown ,Islamic Society and the west, Oxford University Press 1957,vol 1, part 1, p179.

٦- دونالد كواترت، الدولة العثمانية ١٧٠٠- ١٩٢٢م، تعريب أيمن الأرمنازي، مطبعة العبيكان، ط١، الرياض ١٤٢٤هـ٢٠٠٤م، ص ١٠٠-١٠١.

بهم الغرور إلى الغوص في متاهات السياسة العليا للدولة، من خلال مطالبتهم بخلع السلاطين، متذرعين بحجج واهية، منها عدم تحمس السلاطين لخوض غمار الحروب، وعدم حصولهم على غنائم ومكافآت، كما أجبروا السلاطين على إعطائهم المنح والعطايا وكرّسوها عرفاً دائماً، كلما تقلد أحدهم مقاليد السلطنة، ووصل إلى سدة الحكم[٧].

عندما كثرت أعداد الإنكشارية في عاصمة الدولة العثمانية، بلغ بهم الجبروت والعظمة درجة لا تطاق، فأقدموا على عزل بعض السلاطين والصدور العظام، وقتلوا بعضهم الآخر وتدخلوا في اختيارهم، فأصبحوا ألعوبة في أيديهم، يبطشون بهم ساعة يشاؤون دون حسيب أو رقيب.

لجأ السلاطين إلى استمالتهم، والحصول على محبتهم، بإغداق الإنعام عليهم، والتملق لهم خوفاً من التفريط بهم. وقد أقدموا على خلع وعزل وقتل عشرة سلاطين، يمثلون حوالي ثلاثين في المئة، من مجموع سلاطين آل عثمان السبعة والثلاثين، عن عرش السلطنة العثمانية[٨]. ووصلوا إلى مستوى عال من الفوضى، والتطاول على الأوامر والتعليمات التي كانت تصدر بحقهم، فلم ينفذوا إلا الأوامر التي تخدم مصالحهم الشخصية، وتحولوا من أداة للظفر إلى أداة للتخريب والهزيمة.

في أوقات الحرب كانوا يشنون الحروب طمعاً بالنهب والسلب، ويجبرون السلاطين على تنفيذها. وإذا رأوا في ساحات القتال أن مصالحهم تتعارض مع مصالح الدولة العليا أوقفوا الزحف وأجبروا قادتهم على توقيع المعاهدات، وعادوا أدراجهم إلى وطنهم. وإذا أرادوا نهب المدن التي يحتلونها، فلا تردعهم المعاهدات، ولا يلتزمون بأية قرارات تصدرها السلطة العليا.

أما في أوقات السلم فكثيراً ما كانوا يشقون عصا الطاعة، ويتمردون على قادتهم ويقومون بحركات العصيان ضد السلطان والحكومة، فيعترضون مواكب السلاطين مرددين الشعارات المهينة والشائنة بحقهم، مطالبين بالعطايا والمِنح والغاء القوانين والقرارات، ضاربين عرض الحائط هيبة الدولة وسلطتها وقراراتها، غير آبهين بالنتائج السلبية المترتبة على أفعالهم.

وعند عزمهم على القيام بالتمرد والعصيان، كانوا يجتمعون حول قدور الطبخ، بعد أن يقلبونها، ويضعونها بشكل منتظم، ويبدؤون بإحداث الشغب، وإلقاء الخطابات الحماسية وتنظيم الخطط لاعتراض مواكب السلاطين، أو للبدء بإحراق المدن والشوارع، والقيام باقتحامها ونهبها والتعرض للنساء والشيوخ والأطفال، أو التعرض بالقتل لإحدى الشخصيات المهمة، وقد يصل بهم سوء القرار، إلى الأمر بخلع السلطان واستبداله بغيره أو حتى إعدامه، ويستعدون بكل قواهم

٧- ابراهيم أفندي، الطبيب الأول للعساكر الشاهانية في مدينة بيروت، مصباح الساري ونزهة القاري، بيروت ١٢٧٢هجرية،١، ص ٢٣٨.
٨- شاكر النابلسي، عصر التكايا والرعايا، وصف المشهد الثقافي لبلاد الشام في العهد العثماني (١٥١٦-١٩١٨م) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ،١٩٩٩م، ط١، ص ٢١٣

لردات فعل قادتهم، ومواجهة أية قوى تعترضهم. وإذا ظفروا بقتل أحد الشخصيات، يضعون رأسه أمام قدور الطبخ، ثم يقومون في نهاية التمرد بإعادة الوضع إلى ما كان عليه، ووضع قدور الطبخ في حجراتهم، إيذاناً منهم بانتهاء العصيان.

وعند حلول القرن السابع عشر الميلادي، بدأ قصور الناحية العسكرية يظهر جلياً لدى الإنكشارية، بسبب استخدام الأسلحة التقليدية غير المواكبة لتطورات المرحلة السائدة، ونظم الحرب المتطورة، بالإضافة إلى الخسران المبين في معظم المعارك العسكرية، والثورات والتمرد الدائم.

ومع حلول القرن الثامن عشر الميلادي، أصيبت الدولة بعدة هزائم فادحة أمام أعدائها وأصبحت عاجزة عن حماية وجودها وكيانها، اتجاه تنامي تطور الأسلحة والتكنولوجيا الأوروبية[٩]. تطور الإنكشارية خلال هذا القرن إلى ما يكاد يكون ميليشيا، من صغار الحرفيين والتجار، همهم التملص من الضرائب والحصول على الإعفاءات الضريبية والقضائية. بالإضافة إلى الإنكشارية فقد أصاب الاحتضار الفرسان السباهية في الولايات، حيث تراجعت مداخيلهم خلال القرن السابع عشر ونقصت أعدادهم، مما أربك الطبقة السياسية التي سمحت بتراجعهم، لكنها دافعت في الوقت نفسه عن بقائهم[١٠].

في ظل هذه الظروف الصعبة، التي فرضتها تصرفات الإنكشارية وأعمالهم المشينة، كان لا بد من القيام بإجراءات معينة، للحد من طغيانهم، وذلك عبر تطوير أنظمتهم وتحديثها بما يتلاءم مع النظم المتطورة، خاصة بعد أن تعرضت الدولة لعدة هزائم، نتيجة هشاشة النظام العسكري، وأصبح الإصلاح والتحديث، مطالب أساسية في التدريب والتسليح والتنظيم.

أعجب السلاطين العثمانيون بالأنظمة العسكرية الأوروبية، المتأثرة بالثورة الصناعية فاتجهت أنظارهم نحو الجيش، كونه العمود الفقري في مؤسسات الدولة، بعد أن تراجعت الفتوحات العثمانية، وعجزت الآلة الحربية القديمة عن مواكبة الظروف الجديدة.

سار في نهج الإصلاح عدة سلاطين، لكن الإنكشارية كانوا يقابلون النظام الجديد بالمعارضة الشديدة، نظراً لخطورته على مستقبلهم، وخوفاً من اندماجهم في فرق جديدة تقضي على وحدتهم وتؤدي إلى اضمحلالهم وتفرقهم.

قاموا برفض جميع الأفكار والذرائع التي قدمها سلاطين الدولة، انطلاقاً من إنشاء فرق

٩- أكمل الدين إحسان أوغلي، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، تعريب صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول ١٩٩٩م، جزأين ، ج١، ص ٧٨.

١٠- خليل اينالجيك، بالتعاون مع دونالد كواترت، ترجمة الدكتورعبد اللطيف الحارس، التاريخ الإقتصادي والإجتماعي للدولة العثمانية، المجلد الأول١٣٠٠-١٦٠٠م، دار المدار الإسلامي ٢٠٠٧م، ط١، ص ٣٥٨.

عسكرية جديدة، منظمة تنظيماً حديثاً على أحدث الطرق والتقنيات الأوروبية، وانتهاءً بمنحهم الأعطيات والمنح، في حال رفضهم مسيرة النظام الجديد، متذعرين بأن مباركة الحاج بكتاش (ولي الله) لجماعتهم منذ إنشائها، ودعوته لها بالنصر المؤزر[١١]على الأعداء، هما كافيين لاستمرار الفرقة وأنهم يتمتعون بالقدرة القتالية الكافية، وبالدعم المعنوي من وليهم الروحي الحاج بكتاش.

وهكذا نجح الإنكشارية، في إكراه السلاطين على إدخال النظم الجديدة في تسليحهم وتدريبهم وتنظيمهم، ولجأوا إلى أساليب شتى في معارضتهم، أهمها فتكاً حركات التمرد في وجوه قادتهم وسلاطينهم، وظلوا يشكلون رمزاً للفساد والفوضى، في جسم الدولة العثمانية، وقد دفع بعض السلاطين حياتهم ثمناً لهذه الرغبة في التحديث والإصلاح، أمثال عثمان الثاني وإبراهيم الأول وسليم الثالث...وغيرهم.

لقد تحجّج معارضو التحديث والاقتباس عن الغرب بعدة أعذار واهية، واعتبروا أن الغرب عدواً تقليدياً للإسلام، وأن التشبه به هو تشبه بالكفار، ساعدهم على ذلك الفتاوى التي كانت تتهم السلاطين بالإنحراف عن الطريق القويم، الصادرة عن شيخ الإسلام وبعض رجال هيئة العلماء المتعاطفين مع الإنكشارية، الذين اعتبروا بأن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. وكانت هذه الفتاوى تعرّض السلاطين لانتقام الإنكشارية، فيتم عزلهم أو قتلهم، وتعم الفوضى والاضطرابات ويصيب الشلل كافة مرافق الدولة[١٢].

بالرغم من تعنت الإنكشارية ومواقفهم المتشددة من الحداثة، قام بعض السلاطين بمحاولات خجولة، للحد من طغيانهم ونزعتهم نحو التمرد والعصيان، والتدخل في السياسة العليا العثمانية، والخروج من هذا الظلام، وإعادة بناء الدولة على أسس ثابته.

ويعتبر السلطان سليم الأول، من أول السلاطين العثمانيين الذين عانوا من الدور السلبي الذي مارسه الإنكشارية، في سياسة الدولة العثمانية العليا، قبل وصوله إلى سدة الحكم. وقد كانت له تجربة قاسية ومرة معهم، أثناء حربه مع الدولة الصفوية، بعد معركة تشالديران ٢٢ آب ١٥١٤م[١٣].

حاول السلطان سليم الحد من جبروت وطغيان الإنكشارية، مع إبقائهم قوة عسكرية مهمه لصالح الدولة العثمانية، فقام بتعزيز الحاميات العثمانية في بلاد الشام ومصر المفتوحة حديثاً، عقب احتلالهما بقوات من فرقة الإنكشارية، بهدف الحد من طغيانهم وقوتهم في عاصمة الدولة،

١١- ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، دار العلم للملايين، بيروت١٩٦٥م، ط٣، ص ٧٦-٧٧.

١٢- محمد عبد اللطيف البحراوي، من خصائص تاريخ العثمانيين وحضارتهم، مجلة الدارة، العدد الرابع ١٩٨٨م ، ص ٨٢.

١٣- أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق القاهرة، ط ٢، ٣٩٩١م، ص ٠٨.

كما أرسل الفين منهم لمساعدة خير الدين بربروسة، قائد الحامية العثمانية في الجزائر في قتاله ضد الإسبانيين، وسمح لخير الدين بتجنيد السكان في الأناضول، أثناء قتاله ضد الصليبيين. وقد أسهم هؤلاء بالدفاع عن شمال إفريقيا، إسهاماً مباشراً ضد القوات الصليبية الغازية[١٤].

لقد حذا سلاطين آخرون حذو السلطان سليم الأول، في التخلص من زيادة أعداد الإنكشارية في عاصمة الدولة، عبر إرسالهم إلى حاميات الحدود، للدفاع عنها ولتشتيت الجموع، منعاً لتماسكهم والتحامهم في ثكنات العاصمة.

للخروج من معضلة الأعداد المتنامية من الجنود، وحل مشاكل العجز في الخزينة، لجأت الدولة إلى السماح لأعداد كبيرة من الأشخاص غير المأجورين، بالالتحاق في صفوف العسكريين أيام السلم، وسوقهم للقتال أيام الحرب بوساطة ضباط متجولين، الأمر الذي لاقى قبولاً واستحساناً لدى الإنكشاريين القدماء، الذين شكلوا لهم سنداً في أعمالهم المخلة بالأمن، وفرض أنفسهم كقوة أمر واقع على المجتمع بأسره[١٥].

لقد استحوذ على اهتمامي ـ بصفتي ضابط في الجيش اللبناني ـ النظم العسكرية العثمانية وتشكيلات الفرق والفيالق وتدريباتها وثكناتها وأسلحتها وتجهيزاتها، بالإضافة الى كيفية مجابهتها لقوى العدو وطرق فرّها وكرّها. كما كان من بواعث اختياري لموضوع عوامل وأسباب ضعف الانكشارية وقيامهم بالثورات والفتن والتمردات، هذه الظاهرة الغريبة في نشأتها وتطورها وجبروتها، التي أدهشت الشرق والغرب بأعمالها وفتوحاتها، لكنها حادت عن طريق الصواب وتفاقم خطرها وامتدت شرورها الى المدنيين الوادعين، الذين لا حول لهم ولا قوة.

وتكمن إشكالية البحث، في كون هذه الفرقة كانت تشكل العمود الفقري في جسد الدولة العثمانية، وكانت من أهم أسباب قيامها وامتدادها، عبر قارات العالم الثلاث أوروبا وآسيا وإفريقيا، وقد شكلت ثقلاً حربياً لمصلحة الدولة وقوام الجيش وعماده في الحروب، التي خاضتها الجيوش دفاعاً أو هجوماً في مختلف المعارك، كما كانت أكبر قوة في فرق المشاة، استطاع بها السلاطين تحقيق الفتوحات الواسعة، بل وأكثر من ذلك فإن مصير الدولة ومستقبلها اعتمد الى حد كبير عليها، لأنها كانت بحق محور قوتها وجبروتها وسلاحها الحاد الباتر، الذي استطاعت به أن تمضي قدماً في سياسة التوسع الإقليمي.

14- Lavisse Ernest et Rambaud Alfred Histoire Generale du quatrieme Siecle a nos jours ,12 Tomes,Paris 3eme edition ,1922 , p 806- 807.

محمد سهيل طقوش، العثمانيون من قيام الدولة الى الإنقلاب على الخلافة، ١٢٩٩- ١٩٢٤ م، دار بيروت المحروسة ١٤١٥هـ ،١٩٩٥م، ط١، ص ٢٥٠.

15- H.A.R Gibb and Harold Bowen , op.cit , vol 1, part 1 , p 180.

لكن هذه الفرقة – كما أسلفنا – أخذت في الانحدار التدريجي، وتحولت مع مرور الزمن، بفضل الصلاحيات والامتيازات غير العادية الممنوحة لها، من قبل أركان الحكم والسلطة الى عبء ثقيل، أصبح من أهم عوامل تقهقر الدولة وانحطاطها وفشلها وسقوطها، لا سيما بعد حركات التمرد والاضطرابات التي كانت تقوم، لتحقق مكاسب شخصية، حتى ولو على حساب سمعة الدولة ومكانتها، بين الشعوب المحيطة بها. وقد تمثل ذلك برفضها للنظام الجديد وللإصلاحات الحديثة، التي دون شك ستؤدي الى إدماجها أو ذوبانها في الفرق العسكرية الجديدة.

والاسئلة التي يسعى البحث للإجابة عليها :

– هل كان للإنكشارية دورٌ فاعلٌ في الدولة العثمانية ؟

– ما هي الأسباب والدوافع التي أدت الى تفاقم خطر الإنكشارية وضعفها وترديها، والتي أدت في نهاية المطاف الى التخلص منها والقضاء عليها ؟

وهنا تندرج أهداف البحث، حيث سيتم الكشف عن الاسباب الكامنة وراء الضعف والتردي، المتمثلة بالنواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والنفسية والدينية.

ينطلق البحث من ثلاث فرضيات:

الفرضية الأولى : اعتماد الدولة العثمانية على فرقة الإنكشارية المنظمة والمحترفة، للقيام بالفتوحات والتوسع، ومنحها صلاحيات موسّعة، وإفساح المجال أمام أفرادها، للوصول الى أعلى المراتب المدنية والعسكرية.

الفرضية الثانية : بالرغم من إسهام فرقة الإنكشارية في رفع شأن الدولة، وتحقيق المزيد من الفتوحات العسكرية، إلا أنها أصبحت فيما بعد عبئاً ثقيلاً ترزح تحت وطأته كواهل السلاطين، ولا بد من القضاء عليه والتخلص منه، بعد أن دبت في جسدها عوامل الضعف والتردي والانحدار.

وللتحقق من صحة فرضيات البحث والوصول الى نتائج مقبولة، اتبعت المنهج التاريخي التحليلي، المعتمد بشكل أساسي على الوثائق والمستندات التاريخية، وقمت بدرس المعطيات المتوفرة من مصادر ووثائق أساسية ومراجع، وكتب المؤرخين العرب والأجانب، وبعض المراجع التركية والعثمانية، التي تمكنت من العثور عليها، واطلعت على الكثير من مؤلفات المؤرخين والكتاب والنقاد، الذين طالت أقلامهم الدولة العثمانية، حيث تعرض البعض منهم لها بذكر القبيح والتجريح بدوافع عرقية ومذهبية مختلفة، والبعض الآخر أثنى عليها بذكر المديح.

تألف البحث من مقدمة وفصلين وخاتمة .

تضمنت المقدمة لمحة موجزة عن نشأة الإنكشارية وتطورها، ووصول معظم أفرادها الى مراتب عالية في المؤسسة العسكرية والمناصب القيادية المدنية، وتسطيرها أروع البطولات في كافة المعارك. لكن بعد اختلاط أفرادها بالمدنيين، تسرب الوهن الى صفوفهم ومالوا الى النهب والسلب، وتحولوا الى عبء ثقيل، ومارسوا مختلف وسائل الضغط على السلاطين العثمانيين. كما تضمنت أهمية البحث وأسباب إختياره، وأهدافه وفرضياته وإشكالياته، وعرضت لفصول الدراسة وأهميتها.

وتضمن الفصل الأول عوامل الضعف الاقتصادية (إقدام اليهود على خفض قيمة العمل ـ تأخر دفع الرواتب ـ نضوب الغنائم بسبب توقف الفتوحات) والاجتماعية (السماح للإنكشارية بالزواج).

وتضمن الفصل الثاني عوامل الضعف السياسية (تقاعس السلاطين عن المشاركة في الحروب على رأس الجيوش ـ بروز سلطة الحريم ـ النزاعات الداخلية ودور الإنكشارية لحسم تولي السلطة ـ تطابق مصالح الطبقة الدينية مع مصالح الإنكشارية ـ فقدان الإنكشارية انضباطها وتسلطها على الآمنين ـ مطالبة الإنكشارية بالعطايا والبخشيش ـ زيادة أعداد الإنكشارية ـ حصول الإنكشارية على إقطاعات زراعية والسماح لهم بمزاولة التجارة والصناعة والأعمال الحرفية ـ إقدام الإنكشارية على بيع تذاكرهم، والعوامل النفسية (الغرور بالنفس___ رفض التحديث ومحاولات الإصلاح).

وتضمنت الخاتمة أبرز ما توصل اليه البحث من نتائج.

وفي النهاية يعتبر هذا البحث على تواضعه مدماكاً بسيطاً، وسبيلاً لتسليط الأضواء وإزاحة الستار عن جوانب مهمة من جوانب التاريخ العثماني، ومحاولة بحثية متواضعة في مشوار البحث العلمي الطويل من حيث تطرقها للجوانب السلبية وعوامل الضعف، من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والنفسية، التي قضت في نهاية المطاف على فرقة الإنكشارية.

أرجو الله سبحانه وتعالى أن أكون قد أصبت فيما قمت به، وإن أخطأت فأرجو الله أن يغفر لي خطئي، وجل من لا يخطئ، والله وليّ التوفيق.

الفصل الأول

عوامل الضعف الإجتماعية والإقتصادية

رب سائل عن هذا السر الذي دوّخ العقول في فهم أبعاده، وحل الغازه وخفاياه. جيش سطر الأمجاد والبطولات، ورفع راية الدولة العثمانية عالياً في شرق الأرض ومغربها، وكانت عناصره تنقض على فرائسها كالأسود بكل ما أوتيت من قوة، فتلقي الرعب في نفوس أعدائها وتهزمهم شر هزيمة، وتمزقهم شر ممزق، فتفتح البلاد وتدك الحصون وتزرع الخراب والدمار أنىَّ حلّت واقتحمت.

جنود لم يعرفوا لهم أباً سوى السلطان، ولا موطناً سوى كنف دولتهم، التي أحبتهم وأحبوها فأخلصوا لها كل الإخلاص، وكانوا أوفياء لقسمهم، مطيعين لرؤسائهم، لا يخافون في الله لومة لائم. الله ربهم والإسلام دينهم والسلطان والدهم وحاضنهم، والانضباط عصبهم. كان يقيم هؤلاء في ثكناتهم يواظبون على تعلم الفنون الحربية، ويسيرون مع السلطان أينما حل ورحل، وكل فرقة تسير بلوازمها، بمزيد من الطاعة والانقياد لضباطها. وأثناء وجودهم في ثكناتهم لم يشغل بالهم سوى كيفية تنفيذ الهجوم، وانتظار نداء الجهاد في سبيل الله، إما النصر وإما الشهادة.

لقد تربوا منذ صغرهم على بذل النفوس، متعطشين الى الجهاد، لا يخافون الوقوع في المهالك والمخاطر، بل كانوا يلقون الأعداء بصبر وثبات وقوة عزيمة. وإذا تقدم بهم العمر أو أصيبوا إصابات بالغة في القتال، يمنحون معاشاً تقاعدياً، ويسمح لهم بالزواج[١٦].

تحول هذا الجيش مع مرور الزمن، من جيش الأمجاد والبطولات إلى جيش مستهتر ضعيف يعشق العصيان والتمرد ويهزم في معظم المعارك، جيش تحوّل من نعمة لدولته إلى نقمة عليها، أستبد بالسلاطين والصدور العظام، فعاث في الديار فساداً وطغى وبغى فعزل وولّى وقتل من سادته ما يشاء. أرهب السلاطين وأمعن في التنكيل بهم، فأصبحوا ألعوبة في أيديهم، وكلما تهاونوا معهم ازدادوا غيّاً وتسلطاً وفجوراً، فلم يجد كبار رجالات الدولة بُداً من التملق والتزلف لهم، خوفاً من بطشهم وجبروتهم.

تحولوا من جيش حامي للدولة إلى مليشيا داخل الدولة، ومن عماد للدولة ومصدر لقوتها إلى مصدر للفساد والضعف والتنافس[١٧]، فوجهوا أسلحتهم الفتاكة التي حققوا بها النصر المؤزّر على الأعداء، وخاضوا بها المعارك الطاحنة وأقوى الفتوحات، إلى صدور السلاطين والصدور العظام واستباحوا قتل الأبرياء، وتعرضوا للأسواق والمحلات التجارية بالحرق والنهب والسلب، كلما

١٦- خلف بن دبلان بن خضر الوذيناني، الدولة العثمانية والغزو الفكري حتى عام١٣٢٧هـ ١٩٠٩م، رسالة دكتوراه مطبوعة، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية ٢٠٠٣م، ص١٦٢-١٦٣.

١٧- محمد عبد اللطيف البحراوي، حركة الإصلاح العثماني، ص ٢٨.

رأوا ذلك مناسباً لمصالحهم الشخصية، مما أصاب الدولة بالجمود والتخلف والوهن، وتوقفت الفتوحات العثمانية على مختلف الجبهات[١٨].

هذا الجمود والتخلف لم يكن وليد الصُدَف، ولا من تلقاء نفسه، إنما كان نتيجة طبيعية لعدة عوامل، أثرت تأثيراً مباشراً وألقت بظلالها على الساحة العسكرية الجهادية، وساعدت على فساد الطبقة العسكرية وانحلالها. من هذه العوامل ما هو اقتصادياً وسياسي واجتماعي ونفسي، أضف إلى ذلك إنضمام أعداد كبيرة إلى صفوف المجندين من أصحاب الحرف والفلاحين وغيرهم[١٩].

١-العوامل الإقتصادية

لعب اليهود دوراً مهماً في إشعال الفتن والاضطرابات، عبر تدخلهم السافر في سياسة الدولة العثمانية، بهدف تنفيذ مخططاتهم الرامية إلى إضعاف اقتصاد الدولة، والتأثير على الآداب العسكري لفرقة الإنكشارية، كي يتسنى لهم القضاء على الدولة العثمانية، وإقامة دولتهم على أراضيها. ومن أهم هذه العوامل:

أ- إقدام اليهود على خفض قيمة العملة

أقدم اليهود على غش العملة العثمانية، التي كانوا يقومون بصبها في مصانع تابعة لهم، عبر إدخال بعض المعادن الخفيفة الوزن والقليلة الثمن في سكها، وهذه العملة كانت تدفع للإنكشارية رواتب شهرية. وبسبب انخفاض قيمتها وعدم قبولها في عملة البيع والشراء من قبل التجار وأصحاب الحوانيت، كان الإنكشارية يثورون ويتجمهرون أمام القصر السلطاني مطالبين باستبدال العملة المغشوشة، بعملة سليمة وذات قيمة شرائية صحيحة، فيضطر السلاطين إلى إعطائهم وعداً باستبدال عملتهم ومعاقبة المسؤول عن سكها، وتوزيع أكياس مليئة بالنقود على عناصر الإنكشارية في باحة القصر الخارجية[٢٠].

لقد وصل التخفيض في سعر العملة، إلى أدنى مستوى في أسواق البيع والشراء، حيث أصبح دينار الذهب يساوي الفين من العثمانية، في الوقت الذي كان الجندي الإنكشاري يتقاضى عشر ليرات عثمانية. ثم ازدادت العلوفة إلى ماية عثماني (ثلاثة آلاف عثماني شهرياً تساوي ديناراً

١٨- علي حسون، تاريخ الدولة العثمانية، المكتب الإسلامي، بيروت،١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م، ط١، ص ١٠٦.

١٩- يعتبر المؤرخ يلماز أوزتونا في كتابه عن تاريخ الدولة العثمانية، ص ٣٩٠ بأن صنف الإنكشارية عندما تمت الفتوحات المهمة خلال القرن السادس عشر، كان عبارة عن فرقة واحدة خاصة ثقيلة، شكلت قسماً صغيراً في الجيش العثماني، وليس كما يظن بعض المؤرخين بأن الفتوحات العظيمة قد تحققت على يد الإنكشارية، بل حققها السباهي والأقينجي (المغاوير). وكان عددهم يزيد كلما قل عدد الجنود الخيالة، وقد دامت حوالي ٤٦٣عاماً، حتى تم الغاؤها على يد السلطان محمود الثاني عام ١٨٢٦م (يلماز اوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سلمان، مراجعة وتنقيح د.محمود الأنصاري، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، جزءين، استانبول١٩٨٨م ،، ج٢، ص ٣٩٠).

٢٠- حبيب السيوفي، الإنكشارية في الدولة العثمانية، بيروت، مطبعة الرحبانية المخلصية ١٩٤٠م، ص ٢٠.

ونصف الدينار فقط من الذهب) وبذلك أصبح الراتب الذي يتقاضاه الإنكشاري لا يكفيه لشراء حاجاته الضرورية[٢١].

أثار ذلك في نفوس الإنكشارية الحمية والتمرد، والمطالبة بزيادة الرواتب والتعويضات ووصلت بهم الوقاحة إلى القيام بنهب منازل الأهالي، نتيجة الفقر المدقع الذي كانوا يعانون منه، كما أقدموا على نهب منازل الصدور العظام أنفسهم وإبتزاز الأهالي، وقد ساعدهم على ذلك إغفال السلاطين أحياناً عن أعمالهم الشائنة[٢٢].

ونتيجة لتخفيض قيمة العملة في الأسواق، وتحكم اليهود في عمليات تداولها، زادت كمية الأعطيات التي تمنح للإنكشارية، حيث وصلت عملة البرقية إلى خمسمائة إقجة في التداول[٢٣].

ثم تم تخفيض قيمة العملة وزيادة سعر الأوقية الفضية[٢٤]، وكثيراً ما كان اليهود يسلمون آغا الإنكشارية أموالاً غير مغشوشة كرشوى، على أن يعطي الإنكشارية رواتب من الأموال المتدنية القيمة.

بالإضافة إلى تدني مستوى العملات، فقد ارتفعت معاشات ورواتب بقية الموظفين كخدم القصر السلطاني وغيرهم، إلى ثلاثة أضعاف زيادة عن رواتبهم، مما أثر سلباً على حماس وهمة الإنكشاريين، الذين يعتبرون أنفسهم مرهقين جسدياً، من خلال تحملهم مشقة الحياة العسكرية وظروف الطبيعة، والقيام بأعمال الحفر والتحصين والتعرض للاستشهاد أو الجراح والعاهات[٢٥].

ب-تأخر دفع الرواتب

نظراً لإزدياد أعداد الإنكشارية المسجلة في الدفاتر، الذين كانوا بمعظمهم متقاعدين ومتزلمين وأصحاب حرف ومهن، لا يشاركون في الحروب، وعجز الخزينة عن دفع الرواتب الباهظة[٢٦] وبالتالي فراغها أحياناً من النقود، بالإضافة إلى بذخ السلاطين وترفهم وكثرة حروب الدولة العثمانية ضد أعدائها، يلجأ الإنكشاريون إلى التمرد والعصيان وإشعال الحرائق، للحصول على رواتبهم، فتضطر الدولة إلى فرض ضرائب ورسوم جديدة، لسد العجز في خزينة الدولة على الأهالي، الذين يرزحون تحت وطأة الضرائب والديون، ويتعرضون خلال جبايتها للظلم والاعتداء والشدة من قبل عساكر الإنكشارية، فتزداد الهوة بينهم وبين الدولة وجيشها، ويضمرون الحقد

٢١- عبد الكريم رافق، العرب والعثمانيون ١٥١٦-١٩١٦م، دمشق ١٩٧٤م، ط١، ص ١٢٥.

٢٢- عبد الكريم رافق، المرجع نفسه، ص ١٢٥.

٢٣- البرقية وحدة كانت تستعمل في الدولة العثمانية .

٢٤- الأوقية وحدة كانت تستعمل لوزن الفضة والذهب والعطور والبهارات، ثم تم إستبدالها بالغرام.

٢٥- **أحمد جودت باشا، تاريخ جودت، ١٢ مجلد، استانبول**، ص ١٩٥.

٢٦- أحمد جودت، المصدر نفسه، ص ١٨١.

والضغينة للنظام والحكام[٢٧].

وأحياناً بسبب فراغ الخزينة، يلجأ السلاطين إلى دفع رواتب الجنود عند تأخرها من أموالهم الخاصة، وإذا تعذر ذلك فتدفع من بيوت أموال المسلمين[٢٨].

كما كانوا يضطرون أحياناً إلى تخصيص العسكريين، الذين يقومون بحراسة القلاع وحمايتها بأموال إضافية زيادة على رواتبهم، مكافأة لهم على أعمالهم. وكان هؤلاء العسكريون قد فقدوا الروح المعنوية بسبب ضعف عتادهم الحربي، وقلة التدريب وعدم إستبدالهم بغيرهم لمدة طويلة، فتحولوا إلى عنصر فساد واندمجوا في حياة المدن، وضعف ولاؤهم لقادتهم[٢٩].

ج- نضوب الغنائم بسبب توقف الفتوحات

كان الرقيق السلطاني ـ وهو المؤسسة الرئيسية التي يمارس السلطان من خلالها سيطرته الشخصية على الشؤون المدنية والعسكرية - مهدداً بالانفلات من أيدي السلطة. فلقد كانت مالية الإمبراطورية تعتمد بشكل أساسي على الغنائم دخلاً، ومن هذا الدخل كان المقاتلون الأفراد يحصلون على أجورهم. وكان التفوق العثماني الحاسم على جيوش أوروبا في النصف الأول من القرن السادس عشر، يعود في جانب منه لموارد السلطان الهائلة. تلك الموارد التي مكنته من الاحتفاظ بقوات مسلحة أضخم وأحسن تجهيزاً بالمعدات، وأكثر تنظيماً من أي قوة مسلحة منافسة في أوروبا. وكانت هذه الموارد تأتي كغنائم من مناطق الحدود، نتيجة عمليات الجيوش العثمانية، وما كانت هذه العمليات الصيفية تؤتي أكلها عندما تكون في بلاد قاحلة يحكمها حكام فقراء، يحارب عنها عسكر بائس، فمثل هذه المناطق لم تكن تدر غنائم حتى لو تم الاستيلاء عليها. ونظراً لقلة الغنائم في المناطق الحدودية للإمبراطورية العثمانية، فإن السلطات قد عوضت ذلك بزيادة ما يتم اغتصابه من السكان الرعايا في الوطن العثماني نفسه. فقد كان ملّاك الأراضي والإقطاعات يطلبون مزيداً من العوائد والخدمات من الفلاحين في عقاراتهم الزراعية، كما أن الرسميين من عبيد البيت السلطاني كانوا يطلبون مزيداً من الأموال، سواءً مقابل أداء واجباتهم أو كرشاوى. ومثل هذه الممارسات قد مكنت كلاً من السباهيين والموظفين الرسميين، من العيش في بحبوحة ورخاء أكثر مما كان عليه أسلافهم، الذين عاشوا أيام التوسع السريع والغنائم الوافرة. لذلك فإن الإنكشارية التي كانت تعتمد على السلب والنهب في القرى المفتوحة، وجدت نفسها فارغة الأيدي من خيرات هذه المناطق القاحلة والفقيرة[٣٠].

٢٧- أحمد جودت، المصدر نفسه، ص ١٨٦، ١٨٧، حبيب السيوفي، مرجع سابق، ص ٢٠.

٢٨- ساطع الحصري، مرجع سابق، ص٤٧، ٤٨.

٢٩- عبد العزيز نوار، تاريخ الشعوب الإسلامية، العصر الحديث، القاهرة، دار الفكر العربي ١٩٩٨م، ص٨٦، ٨٧.

30- Paul Coles ,The Ottoman Impact On Europe ,Thames and Hudson ,London ,1968,p167-168.

٢- العوامل الاجتماعية

أ- السماح للإنكشارية بالزواج

كان لحظر الزواج، الذي فرضه السلاطين العثمانيون على فرقة الإنكشارية منذ إنشائها الفضل الكبير في تكوين جيش قوي، لا يمتلك العواطف الأسرية الجيّاشة اتجاه زوجاته وأبنائه وأحفاده، بل هو جيش لا هَمَّ له سوى خدمة السلطان والجهاد ورفع راية الإسلام، ولا يرجو سوى النصر، أو الاستشهاد في سبيل الله في ساحة المعركة[٣١].

ولكن بعد أن تعاظمت قوة الإنكشارية، وأصبحوا رجال الدولة الاقوياء، والسادة الفعليين للبلاد في عهد السلطان مراد الثالث ١٥٧٤-١٥٩٥م/٩٨١-١٠٠٣هـ، قام السلطان بمنعهم من شرب الخمر[٣٢]، وبإلحاق عدد كبير من المدنيين غير المدربين في صفوفهم[٣٣]، مكافأة لهم على شجاعتهم في إنقاذ عدد كبير من المدنيين، الذين وفدوا إلى العاصمة لحضور حفل ختان إبنه الأمير محمد عام ١٥٨٢م، بسبب الفوضى والشغب وكثرة الإزدحام[٣٤].

كما أقدم السلطان على إدخال أبناء المسلمين في صفوف الإنكشارية[٣٥]، عقب تجدد الحرب بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية، استكمالاً لخططه القاضية بالحد من نفوذ الإنكشارية وجبروتهم، مما زاد أعدادهم إلى ضعف ما كان عليه، وأصبح لديهم أولاد وانشغلوا بمشاكل الحياة الزوجية، وهذا ما أرهق الخزينة وألقى عليها أعباءً جساماً، وضعضع كيان نظام الدويرة[٣٦]، وأدى

31- Robert Mantran,la vie quotidienne a Constantinople au temps de Soliman le magnifique et de ses successeurs,p108.

٣٢- شكيب ارسلان، ترجمة حسن السماحي سويدان، تاريخ الدولة العثمانية، دار ابن كثير، ط٣ ، ص ٢٠١. علي حسون، مرجع سابق، ص ١٢٨.

٣٣- عبد العزيز الشناوي، أوروبا في مطلع العصور الحديثة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٥م، ط٢.، ص٧٥٥-٧٦٥.
H.A.R Gibb and Harold Bowen . op.cit . vol 1. part 1 . p 180.

أحمد عبد الرحيم مصطفى، اصول التاريخ العثماني، دار الشروق، ط١ ،١٩٨٦ ، ص ١٣٦-١٣٧.

٣٤- يروى أنه حدث ذات مرة، أثناء حفل ختان الأمير محمد ابن السلطان مراد الثالث، أن قام بعضهم بعرض بعض الألعاب البهلوانية، وقد أعجب الناس ما قدموه، حتى أن السلطان مراد الثالث سأ لهم عند إنتهاء الحفل، عن تمنياتهم، فطلبوا الإنضمام الى الإنكشارية، فوافق السلطان على طلبهم، وأصبحت فيما بعد عادة جارية (محمد جميل بيهم، فلسفة التاريخ العثماني، أسباب انحطاط الإمبراطورية العثمانية وزوالها بيروت١٩٥٤.، ص١٣٠).

35- Dimitri Kitsikis ,L'Empire Ottoman ,Presses Universitaires de France,paris 1985, troisieme edition corrigee,p 100.

٣٦- دوشرمه devsirm مصطلح أطلق في العهد العثماني، للدلالة على نظام جمع أولاد النصارى، لتجنيدهم في الجيش الإنكشاري، وقد كانوا يجمعون كل خمس سنوات مرة واحدة، وفي بعض الأحيان كانوا يجمعون في مدة أقل منها. وكان الجمع يتم عقب إصدار السلطان فرمانه (أمره)، حيث يعهد إلى ضابط برتبة يايا باشي بهذه المهمة، فيتم جمعهم بمعرفة شيخ الضيعة أو المنطقة من الفتيان الذين تتراوح أعمارهم بين العاشرة وخمس عشرة سنة، وكان يؤخذ من الأسرة ولد عن كل خمسة أولاد. لكن هذا النظام بدأ بالفساد، حين أخذ اليهود وغيرهم. وقد أطلق عليهم إسم "أوغلان عناصر دخيلة "أي غلمان العناصر الدخيلة. وكانت الدوشرمة أو الدفشرمة فضلاً عن أنها نظام عسكري، فهي ضريبة عثمانية فرضت على الغلمان المسيحيين، لإعدادهم للخدمة العسكرية في جيش السلطان. (حسان حلاق، عباس صباغ، مرجع سابق، ص ٩٥-٩٦. سليم ابراهيم الكيلاني، مرجع سابق، ص٣٦).

إلى تقاعسهم عن المشاركة في الحروب والقتال في سبيل إعلاء كلمة الدين[٣٧].

ترتب على عمله هذا إقدام الحكومة على تخفيض سعر العملة، وقيام الإنكشارية بمشاركة الخيالة[٣٨] بثورات واللجوء إلى القوة، لمقاومة أي عمل من شأنه أن يتعارض مع رغباتهم، كما ترتب عنه مطالبة الجنود الجدد بالسماح لهم بالزواج وممارسة المهن، خاصة أن معظم هؤلاء الجنود قد جاء من مجتمعات الحرفيين، الذين يفضلون الزواج المبكر ولا يتأقلمون مع العيش في الثكنات، والخضوع للانضباط والتدريب، وإلغاء الحظر الذي كان مفروضاً على عناصر الفرقة[٣٩].

إن موافقة السلطان على طلب السماح بالزواج، أغرقت الجنود في مشاكل الحياة الإجتماعية، وألقت عليهم أعباءً جديدة، كإنجاب الأولاد وتربيتهم والإرتباط بالأسر، والعيش خارج الثكنات[٤٠] والحاجة إلى الأموال لتدبير أمور الحياة الزوجية، حيث تكاثر عدد الإنكشارية، الذين كانوا لا ينامون في الثكنات، بسبب السماح لهم بالزواج، أو الذين دخلوا إلى الفرقة وهم متزوجون أصلاً، بعد دفعهم الرشاوى اللازمة لبعض التجار[٤١].

بالإضافة إلى الرفاهية التي تسببت في زيادة المتطلبات اليومية، وارتفاع الأسعار وانخفاض المعيشة، مما أفقدهم بعضاً من حماسهم، للاستشهاد في سبيل إعلاء كلمة الدين، وأصبحت الأسرة هي المؤثر الفعّال، واحتلت المكان الأول في تفكيرهم، وأصبح الأولاد يتوارثون آباءهم، في الانضمام إلى صفوف الإنكشارية.

37- H.A.R Gibb and Harold Bowen , op.cit , vol 1, part 1, p 180.

محمد سهيل طقوش، مرجع سابق، ص ١٢٨.

٣٨- إشتهرت الخيالة العثمانية بسرعة تحركها وثباتها ضد العدو، حيث كان الخيال العثماني يقضي معظم أيامه على ظهر الخيل التي كان يسوقها نحو البراميل الملتهبة، ويقفز بها فوق الجدران، ويمكنه إصابة الأهداف بدقة، وهي تعدو بأ قصى سرعتها ويرمي الجريدة والمزراق، فتصيب الهدف بدقة متناهية. وكان الخيال العثماني يتقن الهجوم بأصول المباغته من مسافة قصيرة، يتقدم دون أن يبالي بزملائه الذين يسقطون عن خيولهم، وينسحب بتكتيك باهر، ولا يمكن مشاهدة خيالين إثنين جنباً الى جنب (يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ج٢، ص٣٨٠-٣٨١).

39- H.A.R Gibb and Harold Bowen , op.cit , vol 1, part 1, p 180.

أمين شاكر، سعيد العريان، محمد مصطفى عطا، تركيا والسياسة العربية، من خلفاء آل عثمان الى خلفاء أتاتورك، دار المعارف، مصر، ص٤٣.

٤٠- رجب حراز، الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب، القاهرة المطبعة العالمية ،١٩٧٠م .، ص ١٥.

41- H.A.R Gibb and Harold Bowen , op.cit , vol 1, part 1, p 181,182.
Dimitri Kitsikis , op.cit ,p 100.

الفصل الثاني

عوامل الضعف السياسية والنفسية

أ- تقاعس السلاطين عن المشاركة في الحروب على رأس الجيوش:

لقد شيد العثمانيون دولتهم على أسس إسلامية اتصفت بالقوة والتعاون والنظم الراقية، فتمكنت من قهر أعدائها، ونمت بسرعة فائقة، وضمت اليها بلدان واسعة في ثلاث قارات هي آسيا وأوروبا وإفريقيا. وكان سلاطين آل عثمان يهتمون بالمصالح المتعلقة بأمور الدين والدولة، ويعتنون بها كل الاعتناء، ويحضرون بأنفسهم الى ساحات القتال. وكان أمراء الولايات لا يعينون في الولايات إلا بعد تعيينهم مدة من الزمن في إمارة السناجق، حتى يكون كل منهم مدرباً على أمور الإدارة، وكذلك أمراء السناجق لا يعينون إلا بعد التأكد من ولائهم للدولة، ومعرفتهم بأمور الدين وحصر أنظارهم فيما فيه عمران البلاد ورفاهية العباد في وقت السلم وإذا وقعت الحرب ساروا اليها بجنود منظمة وأسلحة تامة[٤٢].

وكانت الثروة التي جمعها السلاطين خلال الفتوحات العديدة وكذلك الغنائم الكثيرة، داعية الى الانغماس في الشهوات، والوقوع في الأخطاء التي أضرت بنظام الدولة، وقد تساهل السلاطين بالحفاظ عليها[٤٣].

لقد مرت الدولة العثمانية بعصر قوة الدولة، وهو عصر السلاطين العشرة الأوائل أو عصر قوة الدولة واستقرار النظام فيها، من خلال صلاح العناصر الثلاثة الأساسية في الدولة ونعني السلطان والجندي والشيخ[٤٤]. كان أبناء السلاطين الأمراء يقودون الجيوش، ويصحبون

٤٢- خلف دبلان الوذيناني، مرجع سابق، ص ١٥٢.

٤٣- خلف دبلان الوذيناني، المرجع نفسه، ص١٥٣.

٤٤- خلف دبلان الوذيناني، المرجع نفسه، ص١٥٣.

إن الفترة الواقعة بين وفاة السلطان سليمان الأول (القانوني)عام ١٥٦٦م، حتى تولية السلطان سليم الثالث عام ١٧٨٧م، وهي ما يقارب مايتين وثلاثين سنة، حكم الدولة خلالها سبعة عشر سلطاناً، كان منهم ثلاثة سلاطين (محمد الثالث١٥٩١-١٦٠٣م) ومحمد الرابع (١٦٢٣- ١٦٤٠م) ومصطفى الثالث (١٧٥٦-١٧٧٣م) على درجة عالية من الكفاءة. أما السلاطين الآخرون ،فقد اتصفوا بالضعف وكانوا يمارسون الحكم بواسطة وزراء، كانوا مثالاً للإحدار والفساد. كما كان وصل بعضهم الى الحكم صبية صغار (السلطان أحمد الأول- السلطان عثمان الثاني) في سن الرابعة عشرة، وكان مصير السلطان عثمان الثاني القتل، كما تولى السلطان محمد الرابع العرش بعد وفاة والده في السادسة من العمر. ومن السلاطين من كان معتوهاً مثل مصطفى الأول، وكم من السلاطين عزل من منصبه بمهانة وتحقير، كما كان بعضهم مجرد سجناء قبل تولية العرش، في ظلمات سوداء، انعكست على سلوكهم خلال حكمهم للدولة، فمنهم من كان شديد الإسراف في المظاهر والمظالم والقتل، ومنهم من إنشغل بالصيد والنساء والشرب، وسطى على مالية الدولة، وأخذ الرشوة وباع المناصب (خلف دبلان الوذيناني، مرجع سابق، ص ١٥٧).

الإنكشارية الى ميدان القتال، وعند وصولهم الى سدة العرش، كانوا يتمتعون بقدرة كافية على قيادة الجيوش وإدارة الحكومة إدارة حازمة، من خلال الخبرة التي اكتسبوها[٤٥].

بالإضافة الى ذلك، فإن الإنكشارية لم يكونوا يخرجون الى الحرب، إلا إذا كانوا برفقة السلطان أو أحد أبنائه[٤٦]. وقد تسرب الخلل الى الدولة عندما استلم زمام أمورها، سلاطين اتسموا بالضعف والخجل وعدم الكفاية، فأسندوا السلطة الى الوزراء والصدور العظام[٤٧].

اتضح ذلك، من خلال إقدام السلطان سليمان الثاني على تغيير هذه السُنَّة الحميدة، وسمح للإنكشارية بالقتال تحت إمرة قائدهم الأكبر، فانصرف بعض السلاطين الذين جاؤوا بعده عن متابعة شؤون الدولة، وعن مقابلة كبار الموظفين، وتقاعسوا عن الخروج على رأس الجيش إلى ساحات القتال، كما تخلفوا عن حضور ورآسة جلسات الديوان الهمايوني[٤٨]، وعن مراقبة أعماله وسماع مناقشات أعضائه من وراء ستار، واستطابوا الإقامة في قصورهم، بين غلمانهم وجواريهم

٤٥- محمد عبد اللطيف البحراوي، حركة الإصلاح العثماني، ص ٤٠.

٤٦- محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العثمانية العلية، تحقيق الدكتور إحسان حقي، دار النفائس، بيروت ١٤٠٨هـ١٩٨٨م، ط٢ ، ص٢٥٢.

٤٧- محمد عبد اللطيف البحراوي، حركة الإصلاح العثماني، ص ٤٠.

٤٨- همايون كلمة تعظيم خاصة لسلاطين الدولة العثمانية."هما "باللغة الفارسية و"أما"باللغة التركية تعني طائراً أسطورياً ذا قدرة وحظ، وقد إتخذها السلاطين الغز الأتراك رمزاً لهم.(سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض ٢٠٠٠م ،ط١، ص ٢٢٦).

Midhat Sertoglu ,Osmanli Tarih lugati ,Enderun Kitabevi , Disgi-Baski Eskin Matbaasi, Istanbul ,1986., p 155.

أما الديوان الهمايوني(ديوان همايون)أو الديوان الكبير، هو المكان الذي يجتمع في أوقات معينة لسماع شكاوى الرعية وإحقاق الحق وهو يعتبر محكمة عليا في الأصل وأعلى جهاز للحكومة. كان السلطان يحضر الديوان الهمايوني مرتين أسبوعياً للإستماع الى شكاوى الناس المظلومين، وكانت الملفات المتعلقة بالشريعة تحول الى القاضي، أما الأمور الإدارية فتحول الى أعضاء الديوان.

Halil inalgic,The Ottoman Empire ,The Classical Age 1300-1600,Poenix Press ,5 Upper Saint Martins Lane ,London ,WC2H 9EA,p 89,90.

رئيس الديوان هو الصدر الأعظم، وكان بإمكان السلطان حتى عام ١٦٥٤م الاستماع الى مذكرات الديوان من خلف شباك مغلق، بعد هذا العام الغيت هذه العادة، وبدأ الصدر الأعظم بتبليغ السلطان خلاصة اجتماعات الديوان شفوياً، وتقديم تقرير للسلطان بنتيجة الاجتماعات. يترأس الديوان أثناء غياب الصدر الأعظم وزيران، واذا كانت المدة طويلة يعين وكيلاً يسمى" صدارة قائمقامي "ويكون إما الوزير الثاني أو الثالث أعضاء الديوان هم الوزراء الذين يسمون (قبة نشين) أو وزراء القبة وعددهم خمسة، بالإضافة الى أعضاء الحكومة الآخرين وهم : قبودان دريا، كاهية بك، يني جري أغاسي، قضاة عسكر الروملي والأناضول، النيشنجي رئيس الكتاب، باش دفتر دار وكتبة الديوان (يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ج٢، ص٣٣٩-٣٤٢).

Robert Mantran ,la vie quotidienne a Constantinople au temps de Soliman le magnifique et de ses successeurs,p 88.

في أجنحة الحريم السلطاني[٤٩]، وفضلوا عدم الخروج للقتال وتكبد المشقات[٥٠].

بدأت هذه الظاهرة في عهد السلطان سليمان الثاني، حين توقف عن ترؤس الجلسات (حوالي عام ١٤٧٥م)، إلا أنه فتح نافذة مشبكة في «بيت العدل» تسمح له متابعة ما يجري في قاعة الديوان[٥١]. تفاقمت هذه الظاهرة بعد وفاته، حيث أعقبه سلاطين تكاسلوا عن الخروج إلى الحروب وأصبحت عرفاً متبعاً لدى السلاطين العثمانيين، الذين كرهوا الخروج والمشاركة في الجهاد وتحمُّل عناء السفر، وفضلوا البقاء في قصورهم بين جواريهم وغلمانهم، والانغماس في حياة الترف والبذخ، فأضاعوا البلاد الواسعة التي حافظ أجدادهم عليها بدمائهم الطاهرة، وجعلهم محط نقد العسكريين اللاذع واستهزائهم[٥٢].

اهتز مركز هؤلاء السلاطين، اهتزازاً مهماً في نظر القوى العسكرية وموظفي القصر وسائر هيئات الدولة، وبلغ بهم الأمر إلى استخدام العبيد الخصيان، لإيصال أوامرهم إلى الصدر الأعظم. وهذا ما حدث فعلاً في عهد السلطان مراد الثالث، الذي تقاعس عن الخروج مع الجيش إلى الحرب، مما أثار حفيظة الإنكشارية ضده، كما طالب الإنكشارية السلطان سليمان المشرِّع بالذهاب معهم إلى المعارك، رغم مرضه الشديد فوافق على طلبهم [٥٣].

هذا الضعف في مركز السلطان، قابله قوة ومتانة في مركز القائد العام للقوات المسلحة (الصدر الأعظم أو الآغا الإنكشاري) فعلا شأنه وقويت هيبته وأعجب بموقعه، فإزداد غروراً

٤٩- قسم الحريم يعتبر القسم الأكثر أهمية وسرية في الأينديرون، ويسمى أيضاً باب السعادة، الذي كان السلطان هو الرجل الوحيد الذي يمكنه دخوله. يشبه الى حد بعيد من حيث تنظيمه قسم الخدم.الحق بالقصر الجديد عهد السلطان سليمان، حيث رأت روكسلانة هذا الإنتقال وسيلة لتعزيز نفوذها، بالإقتراب بصفة مستديمة من زوجها.
Robert Mantran ,Histoire De L'Empire Ottoman, p 177-178.

٥٠- محمد فريد بك، مصدر سابق، ص ٢٥٢.

٥١- خلف دبلان الوذيناني، مرجع سابق، ص١٥٥.

في نهاية الرواق السري كانت توجد نافذة مربعة صغيرة ذات قضبان، تستخدم كمركز تنصت، تغطيها ستارة من الكريب الأسود، وقد إشتهرت بإسم "النافذة الخطرة "لأن السلطان عندما يريد أن يسمع ويرى الجميع دون أن يراه أحد، أو حتى دون أن يعرف أحد بوجوده يقف وراء هذه النافذة، لذلك لم يتجرأ أحد على كتم أي شيء أو إيقافه. وقد انتقلت صلاحية النظر في الشكاوى الى الصدر الأعظم بعد تخلي السلطان عنها، ويعاونه في ذلك قاضي عسكر الروملي وقاضي عسكر الأناضول وأعضاء الديوان. وبعد انتهاء الجلسة يستقبل السلطان أعضاء الديوان في القاعة المجاورة لبوابة السعادة، ليصدق على قراراتهم.
Halil Inalcik, The Ottoman Empire ,The Classical Age,p 89,90.

٥٢- عمر الإسكندري وسليم حسن، تاريخ مصر من الفتح العثماني الى قبيل الوقت الحاضر، القاهرة١٩٩٦م، ط٢، مكتبة مدبولي، ص ٣٦،٣٥.

Paul Coles,op.cit ,p 162-163.

Robert Mantran ,la vie quotidienne a Constantinople au temps de Soliman le magnifique et de ses successeurs,p 94-95.

53- Ismail Hakki Uzucarsili , Osmanli Devleti Teskilatindan Kapukulu Ocaklari ,Acemi Ocagi ve Yeniceri Ocagi,Turk Tarih Kurumu Basimevi –Ankara 1988., p 481-497.

وزادت العلاقة بين السلطتين سوءاً، وأدى هذا التضارب إلى زيادة الأمور تعقيداً، في انحلال العسكريين وفسادهم[٥٤]، وانخفاض الروح المعنوية لديهم، وبالتالي إلى انحلال الروح الجهادية، من جراء عدم مشاركة السلطان، التي كانت تستنهض الهمم وتشحذ عزيمة القتال وإرادة الصمود لدى العسكريين[٥٥].

أما خلال المعارك، فلم يكن الطابع الجهادي والذود عن حياض الإسلام هو الغالب على تصرفات العسكريين، بل كان للأهداف الشخصية المادية الدور الأساس في صولاتهم وجولاتهم. وبسبب الحصول على المكافآت المادية، لم يكن للجندي همّ سوى عدّ الرؤوس المتطايرة من أجساد الأعداء، وجمعها وتسليمها إلى قائد المعركة، للحصول على المكافأة التي يستحقها[٥٦].

ب- بروز سلطة الحريم

برزت سلطة الحريم بشكل واضح في عصر الخلل في الدولة العثمانية وضعف السلاطين، وذلك بعد أن تخلى السلطان عن تدريب أبنائه على الحروب وإدارة الولايات، فركن الأمراء الى حياة الترف والنعيم والدعة، وقضاء حياتهم بين حريم القصر، دون أن يلتمسوا علماً أو خبرة تفيدهم عند توليهم سلطة البلاد، ويجدون أنفسهم دون المستوى المطلوب[٥٧].

وكان لنساء البلاط تأثير قوي على السلاطين، وخاصة السلطانة الوالدة. كان هؤلاء الحريم في عهد السلاطين الأول، في شبه عزلة عن بقية الخاصة السلطانية، وقليلات التأثير على تسيير أمور الدولة. ومنذ عهد السلطان سليمان الأول، بدأ تأثير الحريم على السلطان وسياسته، فوقع تحت تأثير زوجته خرّم سلطانه، المعروفة باسم (روكسلانه) التي تدخلت للتآمر ضد ابنه الأكبر الأمير مصطفى من زوجة أخرى. وعلى أثر هذا التآمر قتلت الأمير لتضمن لابنها سليم الثاني العرش بعد وفاة والده[٥٨].

٥٤- اسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان الرياض ١٤١٦م، ص ٩٤.

٥٥- محمد فريد بك المحامي، مصدر سابق، ص٢٥٢، محمود شاكر، مرجع سابق، ج٨، ص١١٣، إسماعيل أحمد ياغي، مرجع سابق، ص ٩٤.

٥٦- محمد عبد اللطيف البحراوي، حركة الإصلاح العثماني، ص ٨٨.

٥٧- أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ١٤٨.

٥٨- أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع نفسه، ص ١٠٢، أندريه كلو، سليمان القانوني غازي الغزاة ، تعريب محمد الرزقي، دار التركي للنشر١٩٩١، ص ٨٣-٩٥

لقد أصبح تدخل الحريم واضحاً، عندما دب الوهن في جسم الدولة العثمانية، وكان هذا التدخل يعتبر من أهم الأسباب في فساد نظام الدولة وانحطاطها[٥٩]. فالسلطان مراد الثالث (١٥٧٤- ١٥٩٥م) وقع كذلك تحت تأثير حاشيته، وخضع لسيطرة والدته وزوجاته وكبيرة وصيفات القصر، بحيث أخذ هؤلاء النسوة يتدخلن بكل قواهن في شؤون الدولة العامة لتحقيق مصالحهن، وعملن على إجبار رجال الدولة، بما فيها الصدر الأعظم على تنفيذ رغباتهن، ومن لم ينفذ الأوامر يقع في فخ المؤامرات ويتحمل وزر قراره. بالإضافة الى ذلك، فقد كانت قصور السلاطين والوزراء وكبار رجال الدولة، مملوءة بالأجنبيات من الجواري والسبايا الحسان[٦٠]، وكان بعضهن عيوناً لدولهن لكشف مواقع الخلل في الدولة[٦١].

ج- النزاعات الداخلية ودور الإنكشارية لحسم تولي السلطة :

لم تتوفر أية نصوص شرعية أو قانونية أو قواعد ثابتة لتولية السلاطين سدة الحكم، وقد

٥٩- ورد في كتاب المؤرخ أمين شاكر، ص٤٠ بأن نظام الحريم في الدولة العثمانية، الذي قام على المؤامرات والاغتيالات والرشوة والمحسوبية، وإغراء السلطان والصدر الأعظم وكبار رجال الدولة بكل منكر وموبقة، أدى إلى أفول نجمهم وتقلص إمبراطوريتهم وأفقدهم قوتهم الروحية، وتفكيرهم المسدد المجرد عن الغرض والهوى. ولم يكن تزوج السلاطين من بنات أمراء الغرب المسيحيين مقصوداً به توثيق الصلات السياسية، بل كان الأمراء المسيحيون يرمون به الى أبعد من ذلك، إذ كن بمثابة العين التي تترصد خطى هؤلاء السلاطين، وتفسد عليهم خططهم، وتفشي أسرارهم، وتزين لهم سوء الأعمال، فكن عاملاً مهماً من عوامل ضعف الدولة.(أمين شاكر، سعيد العريان، محمد مصطفى عطا، مرجع سابق، ص٤٠- ٤١).

Dimitri Kitsikis , op.cit ,p 101.

٦٠- كانت العذارى الداخلات في الحريم السلطاني يجئن من خلال السبي في الحرب، أو على شكل هدايا من رجال البلاط، أو من خلال شرائهن من أسواق العبيد. ولم تكن هناك دفشرمة بالنسبة للحريم أو النساء، وكانت المختارات يخترن على أساس ما يتميزن به من استعدادات وجمال. وكن يدخلن في صفوف المستجدين (عجمي) وشأنهن في ذلك شأن الغلمان الخدم، كن يحصلن في الغرفتين الكبيرة والصغيرة، على التعليم الذي يتميز بعناية فائقة، تحت إشراف ناظرة هي "القاهية قادين". هؤلاء الإماء المنحدرات من أصل غير إسلامي، كان يجري تعليمهن مباديء الدين الإسلامي، وجميع الفنون والأعمال المناسبة لجعلهن رفيقات كاملات، وذلك لتنمية المواهب الخاصة لدى كل منهن، حيث يتعلمن الحياكة والتطريز والغناء والعزف والموسيقى وتحريك الدمى ورواية الحكايات...وغيرها. وكن يصلن الى مراتب مختلفة تتطابق أسماؤها مع أسماء أصحاب الصنائع : فمن جوارٍ يصبحن صبيات(شاجيرد)ثم زميلات (جيديكلي) وأستاذات(أسطى) حيث يتخذ السلطان عشيقات له من بين هؤلاء. ويجري تمييز الخليلات العابرات (جوزده)والمحظيات بالمعنى الدقيق للمصطلح، اللاتي يدعون "بالخاص أوده ليك" (الأودليسك أو الخاصكي). وعند وجود زوجة شرعية فإنها تتمتع بالصدارة، إلا أنه في غياب زواج شرعي، فإن أربعاً من الخاصكي يتمتعن بمكانة متميزة تحت لقب "قادين" ، والأولى بين هؤلاء "الباش قادين " هي أول من تلد إبناً للسلطان. لكن السلطة العليا على مجمل الحريم تعود لأم العاهل (والدة السلطان). ويمكن للحريم أن يضم عدداً كبيراً من الإماء لن يكنّ أقل من ٢٦٦ في القصر الجديد عام ١٦٠٣م . وكان يجري تأمين نظام وانضباط الحريم، عن طريق قوة من الخصيان، موازية للخصيان البيض المكلفين بالإشراف على الغلمان الخدم . وفي عام ١٦٠٣ م كان القصر القديم يضم ٣٩ آغا أسود، وكان القصر الجديد يضم ٧٢. وكان رئيس الخصيان السود للحريم (آغا باب السعادة) أو آغا البنات (دار السعادة أغاسي أو كيزلار أغاسي)يتمتع بمكانة مرموقة، حيث كان يأتي في المرتبة الثالثة في الدولة بعد الصدر الأعظم وشيخ الإسلام.

Robert Mantran ,Histoire De L'Empire Ottoman,Publie' avec le concours du Centre national des letters ,Libraries Artheme ,Fayard 1989,p 179-180.

٦١- خلف دبلان الوذيناني، مرجع يابق، ص ١٥٩.

طغى مبدأ الاستخلاف على مبدأ الشورى، والاحتكام إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فاحتدم الخلاف بين الإخوة وأحياناً بين الآباء والأبناء، ناهيك عن اختيار بعض السلاطين أبناءهم الصغار دون الكبار، في الوصول إلى سدة الحكم، مما أدى إلى التدخل في حسم النزاعات لصالح فريق دون الآخر، والتسلط على قرار السلطان المؤيد بنصرهم وهمتهم، الذي أصبح مديناً لهم طوال حياته على إيصاله إلى سدة الحكم[٦٢].

هذا التدخل السافر لحسم النزاع، بين أبناء البيت الواحد من قبل الإنكشارية، أكسبهم التحكم في منصب السلطان وسائر كبار رجالات الدولة، وخاصة الصدر الأعظم، الذي كان تعيينه في منصبه، رهن أهوائهم ورغباتهم الشخصية. وكثيراً ما أدى ذلك إلى خلع أو عزل أو قتل السلاطين والصدور العظام[٦٣].

وكان هذا النفوذ الذي تمتع به الإنكشارية، وأكسبهم القوة والسلطة والسطوة هو صنيع السلاطين أنفسهم، الذين ظنوا أن هذه الحفنة من الجنود سيتواضعون لعطاءاتهم، ويطيعون أوامرهم وتعليماتهم لحماية الدولة، فانقلب السحر على الساحر، وأصبح السلاطين الضعفاء بحاجة ماسة إلى من يشملهم بحمايته وعطفه، فازداد العسكريون طغياناً واستبداداً وسيطرت عليهم العقلية العسكرية، فأنستهم الجهاد وردع المعتدين، وحببت اليهم الفساد والغطرسة.

د- تطابق مصالح الطبقة الدينية مع مصالح الإنكشارية.

كان الإنكشارية خلال ممارساتهم التعسفية اتجاه السلاطين، واستغلال قوتهم العسكرية وضعف هيبة الحكام، يحرصون دائماً على إصباغ تصرفاتهم وأعمالهم بالصبغة الشرعية، عبر إيجاد نوع من التحالف مع علماء الدين وشيوخ الإسلام، وإستصدار فتاوى تبيح المحظورات والمقدسات، وتعطيهم الحق في ممارسة الضغوط النفسية والمادية على سادتهم وحكامهم.

وقد أثر نفوذهم الكبير سلباً، على قيام الدولة وعلى حركة الإصلاح فيها. وفي كل خطوة نحو العبور إلى الدولة وإصلاح الجسم العسكري، نجد السلاطين أنفسهم كانوا حريصين على إرضاء الإنكشارية وعلماء الدين، وضمان عدم اعتراضهم على هذه المشاريع، بل كانوا يتوجسون منهم خيفة، ويعملون ما بوسعهم للحصول على مباركتهم ورضاهم.

هـ- فقدان الإنكشارية انضباطها وتسلطها على الآمنين

لم يأبه الإنكشارية للاتفاقات المعقودة ولشروط الهدنة والتسليم، عقب الفتوحات العسكرية للمدن والقصبات، بل كانوا يمارسون أعمال قتل الأبرياء، والنهب والسلب وإحراق البيوت والمحلات

٦٢- محمد أنيس، الدولة العثمانية والشرق العربي(١٥١٤-١٩١٤م)، القاهرة، مكتبة الأنغلو المصرية، ١٩٩٣م ، ص ٧٨،٧٩.
٦٣- ساطع الحصري، مرجع سابق، ص ٤٧،٤٨.

وهتك الأعراض، ويمارسون مختلف الأعمال الشائنة بحق السكان الآمنين ويتسلطون على أهالي البلاد المفتوحة، ويتعدُّون على كراماتهم وأرواحهم وأطفالهم ونسائهم، وكثيراً ما كانوا يشعلون الحرائق في بعض أحياء المدن، ويمعنون في السلب والنهب في الأماكن المجاورة، بعد أن يَنصرف الناس إلى إطفاء الحرائق وإخماد النيران. وقد ركزوا هجماتهم على محلات اليهود، وقاموا بنهب محتوياتها[٦٤]، كما تعرضوا للصدور العظام وهاجموا قصورهم وتعدوا على حرماتهم، إذا لم يلبوا طلباتهم التعجيزية[٦٥].

و- مطالبة الإنكشارية بالعطايا والبخشيش

درجت العادة على منح الإنكشارية العطايا والبخشيش عند تولية السلاطين، بحيث أصبحت تقليداً ثابتاً وحقاً من الحقوق، تطالب به الإنكشارية عند تلكؤ السلاطين من دفعه. وإذا حاول أي سلطان منع هذا الامتياز عن مستحقيه، تعرض للتنكيل والخلع وأحياناً إلى القتل، مهما تمتع به السلطان من قوة العزيمة والإرادة والعزم والتصميم. وقد اعتاد الإنكشارية على الإكثار من الطلبات الصعبة المنال، للحصول على البخشيش والهدايا، فيعمل السلطان على إرضائهم بالمنح والعطايا وكسب ودهم ومحبتهم واستدرار عطفهم، عبر منحهم البخشيش يوم تنصيبه، فيأمن من شرورهم.

وعند عدم تلبية رغباتهم يلجأون إلى إضرام النيران في المحلات والمتاجر والمنازل، فينزل السلطان مرغماً عند طلباتهم. وكثيراً ما تعرض الإنكشارية لموكب السلطان أثناء دخوله إلى استانبول، ومنعوه من التقدم نحو القصر السلطاني، مطالبين إياه بدفع البخشيش والعطايا[٦٦].

ظل هذا العرف في منح البخشيش مطبقاً لغاية عام ١٧٧٤م/١١٨٧هـ، حيث توقف في عهد السلطان عبد الحميد الأول، بسبب الضائقة المالية والاقتصادية التي مرت بها الدولة العثمانية، من جراء تضخم الإنفاق العسكري في الحرب مع روسيا[٦٧].

ز- زيادة أعداد الإنكشارية

انضم مع مرور الزمن إلى صفوف الإنكشارية أعداد كبيرة[٦٨] لم تتمتع بالمقدرة العسكرية، أمثال أبناء الإنكشاريين وبعض الجاليات الأرمنية والرومية والإفرنجية، وبعض الأهالي وعامة

٦٤- عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، ١٩٨٤م، ثلاثة أجزاء، ج١، ص٤٩٦.

٦٥- محمد أنيس، مرجع سابق، ص ٢١٤.

٦٦- عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج١، ص ٤٩٤، ٤٩٥ .

٦٧- عبد العزيز الشناوي، المرجع نفسه، ج١، ص ٤٩٦ .

٦٨- وصلت أعداد الإنكشارية أواسط القرن السابع عشر الى ٢٠٠٠٠٠عنصر . Dimitri Kitsikis , op.cit ,p 100.

الناس، الذين اتصفوا بالخداع والجهل وقلة الحياء والمكر وعداوة الدين، فكانوا كالسوس في جسم الإنكشارية، أفسدوا كل شيء وأضروا بأفعالهم مصالح الدولة[٦٩].

وكان السلطان مراد الثالث أول السلاطين، الذين شجعوا على دخول عناصر غير مدربة وغير كفؤة إلى جسم الإنكشارية، عبر دفع الرشاوى والإكراميات، نتيجة لتوزيع مساحات واسعة من أراضي التيمار، على المحسوبين ورجال القصر، ويعتقد بأن السلطان مراد كان راغباً في إفساد هذا التنظيم، بعد أن لاحظ مدى خطرهم على الدولة، فضعف عدد جنود سباهية التيمار ودب الفساد في الإنكشارية[٧٠].

وبذلك يكون قد دخل في فرقة الإنكشارية عناصر جديدة غير معروفة المنشأ والأصل، تزايدت أعدادهم يوماً بعد يوم، وتناقصت أعداد العناصر المدربة، التي يعتمد عليها في الحروب[٧١]. وبعد أن يتم تسجيلهم رسمياً ويحلفون يمين الانضمام، ويصبحون من عداد الفرقة، يتمتعون بنفس الامتيازات الممنوحة لزملائهم ،خاصة لجهة إعفائهم من عقاب السلطة المدنية، وتسخيرهم نفوذ الفرقة لمصالحهم[٧٢].

وفي عهده قامت مجموعة من الشباب بإجراء استعراض بهلواني، أثناء حفل ختان إبنه محمد، فأعجب السلطان والجمهور بأعمالهم وحركاتهم الرشيقة، وطلبوا من السلطان في نهاية الاحتفال الانضمام إلى صفوف الإنكشارية، فوافق على طلبهم رغم معارضة آغا الإنكشارية فرهاد باشا[٧٣]، وأصبحت منذ ذلك الحين من الأعراف المطبقة في الدولة.

كانت حجة آغا الإنكشارية أن هؤلاء لا يتمتعون بخبرة ومعرفة بأمور القتال، فما كان من السلطان ألا أن أمر بعزله، وعيّن مكانه يوسف آغا، الذي سهّل دخول الكثيرين وخاصة من اليهود، الذين لاهمّ لهم سوى إزكاء روح التمرد والفوضى بين الجنود القدماء المخلصين في الفرقة الإنكشارية، وبدأوا يعملون على تأليبهم ضد النظام وتحريضهم على الفساد والفوضى، وزرع بذور الفتنة[٧٤].

تقاطر هؤلاء الغرباء للدخول أفواجاً إلى الجهاز العسكري[٧٥]، لا للجهاد في سبيل رفع راية

٦٩- عبد الكريم رافق، العرب والعثمانيون ١٥١٦-١٩١٦م، دمشق ١٩٧٤م، ط١، ص ١٢٠.
Dimitri Kitsikis , op.cit ,p 100.

٧٠- خلف دبلان الوذيناني، مرجع سابق، ص١٦٥.

71- Dimitri Kitsikis , op.cit ,p100.

٧٢- خلف دبلان الوذيناني، مرجع سابق، ص١٦٦.

٧٣- محمد جميل بيهم، فلسفة التاريخ العثماني، ص١٣٠

74- Ismail hakki, tarihi osmanli capukulu , Ankara 1984 , p 482.

٧٥- سمي المسجلون من الشباب في سجلات الإنكشارية أثناء وقوع الحرب (فخري إنكشاري)، وهم غير منتسبين أصلاً للإنكشارية(سهيل صابان، مرجع سابق، ص ١٦١، حسان حلاق، عباس صباغ ، مرجع سابق، ص ١٦٢).

الإسلام والذود عن حياضه، والوقوف سداً منيعاً بوجه أعداء الدولة، بل للعمل بحرية تامة والتهرب من الواجبات والتكاليف، التي تفرضها مؤسسات الدولة وقوانينها، وللحصول على الامتيازات والإعفاء من الضرائب. وكانوا كلما دُعوا للخروج إلى الجهاد أقاموا الحجج واثاقلوا إلى الأرض ولم يخرج منهم إلا القليل[٧٦].

إن انضمام هؤلاء المفسدين إلى الجهاز العسكري، أرهق خزينة الدولة العثمانية وأصبحت عاجزة عن سد نفقاتهم، مما أجّج في نفوسهم العصيان والتمرد[٧٧].

كما دخل إلى الجهاز العسكري مجموعات كبيرة من المسلمين[٧٨]،الذين كانوا محرومين من هذه الوظائف، وذلك للحد من طغيان الإنكشارية وتعصبهم وإظهار إمكانية الاعتماد على غيرهم في القتال، وبعض الأفراد المتقدمين في السن، الذين لم يخضعوا للتدريبات العسكرية اللازمة.

لم تعد تركيبة الجيش الإنكشاري متناسقة ومتقاربة كما كانت منذ نشأتها الأولى، جيل من الرجال الأشداء، تربوا وترعرعوا في فرقة واحدة وثكنة واحدة، أعمارهم متقاربة وأفكارهم متجانسة استطاعوا تحقيق أعظم الانتصارات. إن هذا النسيج غير المتجانس الذي أضيف إلى جسم الإنكشارية كان له أعظم الأثر، وأصبح الجيش يشكل عبئاً ثقيلاً على كاهل الدولة[٧٩].

وانضم إلى الإنكشارية عن طريق الرشوة بعض أصحاب الحرف[٨٠]، الذين سمح لهم بممارسة أعمالهم الحرفية والتجارية أثناء السلم، وعدم التفكير بإثارة الفتن أثناء فراغهم، ولم يسمح لهم بحمل أسلحتم اوقات السلم، خوفاً من قيامهم بالتمرد واستعمال أسلحتهم ضد المدنيين. وهذا ما أسهم في تدني القيمة العسكرية والقتالية، وإضعاف الروح المعنوية عند الإنكشارية[٨١].

Midhat Sertoglu ,Osmanli Tarih lugati , p 107.

٧٦- أحمد جودت، تعريب عبدالقادر الدنا ؛ تحقيق عبداللطيف بن محمد الحميد .ط١ ،١٩٩٩، ص ١٨٢.

٧٧- سمي الذين التحقوا بالإنكشارية من أهالي المدن والبلدات بدون راتب "المتطوعون "للإستفادة من المزايا الممنوحة للإنكشارية، تم انضمامهم إليهم أثناء الحروب بعدما تعرض نظام الإنكشارية للزوال والخراب(سهيل صابان، مرجع سابق، ص٤١-٤٢).

Midhat Sertoglu ,Osmanli Tarih lugati , p125

٧٨- منذ عام ١٥٧٧م وفي فرمان موجه الى والي دمشق، إشتكى الباب العالي من أن الأماكن الشاغرة في قوة الإنكشارية تمنح(ليس لشبان الروم الأقوياء البواسل كما أوصيت بذلك، بل لأثرياء ومحظوظين من أهل البلاد (بيرلو أو برلي)ولأجانب (تات).والحال أن دخول المسلمين الأحرار في هذه القوة النخبوية، سوف يصبح معمماً، وسوف يؤدي تدريجياً الى تغيير انضباطها وقدراتها العسكرية.

Robert Mantran ,Histoire De L'Empire Ottoman, p 352-353.

Yves Ternon,Empire Ottoman ,Le declin ,La chute ,L'effacement, Editions Michel De Maule,2002, op,cit ,p 63.

٧٩- محمد سهيل طقوش، مرجع سابق، ص ٢٥١.

80- Ismail Hakki Uzuncarsili, Osmanli Tarihi 1cilt 5, baski basimevi Ankara 1988, p 471.

٨١- محمد سهيل طقوش، مرجع سابق، ص ٢٥١.

كما دخل إلى الجهاز العسكري بعض الفلاحين، الذين لم يعتادوا على النظام، ولم يألفوا الانضباط والطاعة، فأساؤوا إلى سمعة المؤسسة العسكرية، من خلال إحداثهم للفوضى والدمار وهتك الأعراض، في طريقهم إلى حقل المعركة، وفي ساحة الوغى يفرون من أمام الأعداء، عند سماعهم أصوات البنادق والمدافع، ويقومون بنهب محتويات المعسكرات ويولون الأدبار[٨٢].

ودخل إلى الجهاز العسكري بعض الأمراء المسلمين بهدف التمتع بإمتيازاتهم، وأمعنوا في التدخل في سياسة الدولة والتسلط على مقدراتها، بالإضافة إلى زيادة أعداد المتزوجين الذين فضلوا البقاء في بيوتهم، على حياة التقشف في الثكنات العسكرية[٨٣].

ومع مساهمة السلاطين بإهمال نظام الدوشيرمة، وتوقفه عن التطبيق خلال القرن السابع الميلادي، أخذ المورد الرئيسي لجمع الأطفال المسيحيين في النضوب، مما أفسح المجال أمام عدد كبير من المتطوعين كأصدقاء ومخلصين، للدخول في السلك العسكري لسد الحاجة من الجنود وتسجيل أسمائهم ليس لأهداف مادية، بل للحصول على شرف الانتماء إلى السلك، وحمل اللقب الإنكشاري، مما خلق نقطة تحول خطيرة في مبادئ تكوين فرقة الإنكشارية، التي اعتمدت على الأطفال المسيحيين كمورد أساسي، وحرمت المسلمين من المشاركة في بناء القوة العسكرية[٨٤].

كما انضم إلى الفرقة أفراد من الغواصين، وبعض الأفراد الذين كانوا في خدمة الآغا الإنكشاري، وبعض الأفراد العاملين مع الأفندي (يواخي قابان) وظهرت علامات اختلال الإدارة، فأصدرت الدولة عملة ورقية، فثار الإنكشارية في استانبول، ولم يرضوا بالواقع وهجموا على قصر السلطان[٨٥].

للتخلص من هذه الأعداد الكبيرة من الأنصار والمتطوعين، لجأت الدولة إلى إصدار فرمان يقضي بطردهم من الفرقة وتقليص أعدادهم[٨٦].

كما أقدمت الدولة على إبقاء أعداد كبيرة من الجند داخل الولايات، للحيلولة دون إثارة الفوضى، وللحفاظ على الاستقرار. إلا أن هؤلاء الجنود، كثيراً ما كانوا يشاركون في حركات العصيان ضد الدولة، وأضروا بمصالحها أضراراً عظيمة[٨٧]، وأصبحت فرقة الإنكشارية ملاذاً للعاطلين عن العمل، والذين ليست لديهم الرغبة في الاشتراك في المعارك والحروب.

٨٢- أحمد جودت، تحقيق عبد الطيف محمد الحميد، ص ١٨٢.

83- Ismail Hakki Uzuncarsili , osmanli Devleti Teskilatindan-Kapukulu, p 47.

٨٤- محمد عبد اللطيف البحراوي، حركة الإصلاح العثماني، ص ٥٢،٥٣.

٨٥- شكيب ارسلان، مرجع سابق، ص ٢٠٣، سيد محمد السيد، السلاطين العثمانيون، دار الصحوة، القاهرة، ١٩٩٦م، ط١، ص ٥٥.

٨٦- كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٥م،ج٢، ط٤، ص ٤٦٦.

٨٧- سيد محمد السيد، مرجع سابق، ص ٥٥.

كما أقدم المنفذون في الدولة على تجنيد أتباعهم ومؤيديهم في لائحة الإنكشارية، ليتسنى لهم الحصول على معاش تقاعدي، أو أقله الاستفادة من الإعفاءات الضريبة، والامتيازات الممنوحة لرفاقهم، وشرف الانتماء إلى السلك العسكري. والتخلص من الإنكشاريين القدماء عبر إحالتهم على التقاعد [٨٨].

أدى هذا الإجراء إلى زيادة عدد المتقاعدين، بسبب عدم عرض أسباب التقاعد من الفرقة على السلطان، كي يتخذ القرار المناسب، ويكفي دفع مبالغ بسيطة كرشوة، للحصول على التقاعد، بالإضافة إلى عدم شطب أسماء المتوفين من عناصر الأوجاق، عن دفاتر المرتبات، وعدم الإبلاغ عنهم، ليصار إلى توقيف رواتبهم، بل استمر الأوده باشي في إخفاء خبر موت الإنكشاري الذي تحت إمرته، للحصول على رواتبهم[٨٩].

أدى هذا التزايد السريع في أعداد الإنكشارية نتيجة تزايد الحروب، إلى تزايد جمع الجنود من أهالي القرى، وإدخال أعداد كبيرة من رعايا الدولة القرويين في الجيش (قابوقولو) دون إتباعهم دورات تدريبية، تؤهلهم القيام بحمل السلاح، وتخصيصهم بمعاشات ورواتب تصرف لهم سلفاً وإلى تحميل خزينة الدولة فوق طاقتها، إضافة إلى الأعداد المتزايدة نتيجة تسجيل الأسماء في دفاتر العلوفه، عن طريق الرشاوى المقدمة إلى الموظفين المسؤولين عن مسك هذه السجلات. كل هذه التجاوزات المخالفة للقانون القديم للإنكشارية، أسهم بطريقة مباشرة في فساد الفرقة وزاد من تمردها.

لقد تضاعف عدد أفراد الإنكشارية، من ثمانية آلاف في عهد السلطان مراد الثالث إلى أربعين الفاً عهد السلطان عثمان الثاني، وتراوحت رواتب الجنود ـ الذين دخلوا الفرقة عن طريق الرشاوى، وتم تسجيلهم في سجلاتها، على أنهم إما حراساً أو محافظين على الفرقة[٩٠]ـ بين اثنتي عشرة وخمس عشرة إقجة أو عشرين إقجة، وهذا ما أفقد الفرقة كفائيتها القتالية، وزاد الأعباء المادية على خزينة الدولة العثمانية[٩١].

لم تتطابق حسابات السجلات المسوكة للأحوال العسكرية، مع حسابات الأعداد التي كانت

88- H.A.R Gibb and Harold Bowen , op.cit , vol 1, part 1, p 180.
89- H.A.R Gibb and Harold Bowen , op.cit , vol 1, part 1 , p 183.

٩٠- تم تطويع عسكريين جدد لصالح الإنكشارية، أطلق عليهم حراس الفرق والوحدات، وصل عددهم الى حوالي ألف جندي.
Ismail Hakki Uzuncarsili ,Osmanli Devleti Teskilatindan Kapukulu Ocaklari ,p 480.

٩١- محمد عبد اللطيف البحراوي، حركة الإصلاح العثماني، ص ٥١.
Ismail Hakki Uzuncarsili ,Osmanli Devleti Teskilatindan Kapukulu Ocaklari ,p 480

بعد أن دب الفساد في جسم الإنكشارية تم تشكيل مجموعة من الإنكشارية سميت"قابلي إنكشاري"وكانت مهمتهم خدمة رجال الدولة وقوادها مقابل حصولهم على العلوفة، لكنهم لم يشاركوا في الغزوات والحروب (سهيل صابان، مرجع سابق، ص ١٧١).
Midhat Sertoglu ,Osmanli Tarih lugati p 175.

تشارك في الحروب، بسبب كثرة الالتماسات التي كان الجنود يقدمونها للسلطان العثماني، كي يحصلوا على إعفائهم من المشاركة، أو بلجوئهم لتسجيل أسمائهم على أنهم حراس في القلاع أو الوحدات، أو متقاعدين يحصلون على رواتبهم فقط[٩٢].

وفي حال مشاركة بعضهم في الحروب كانت تنقصهم عزيمة الصمود، ويلوذون بالفرار أمام أعدائهم، وكثيراً ما يقدمون على القيام بالتمرد والثورات، متذعرين بأنهم بيعوا من قبل قادتهم للأعداء الكفار[٩٣].

بالإضافة إلى وظيفة الحراس، فقد استحدثت وظيفة اللاسامي، التي كان أصحابها يتقاضون حوالى سبع إقجات، ويقومون بوظيفة الدعاء والابتهال لجيش السلطان بالنصر المؤزر على الأعداء، وهذه الوظيفة تباع وتشترى من جندي إلى آخر. وقد وجد العشر منهم فقط في الأوجاق وما تبقى فكانوا من أتباع كبراء العلماء ورجال البلاط العثماني[٩٤].

حصول الإنكشارية على إقطاعات زراعية والسماح لهم بمزاولة التجارة والصناعة والأعمال الحرفية

حصل الإنكشارية على أراضي زراعية وامتيازات كثيرة، مكافأة لهم على خدماتهم العظيمة التي أسدوها للدولة، كونهم شكلوا عماد الجيش ودرعه المتين، منذ نشوء الدولة العثمانية. وكانوا لا يخرجون من حرب إلا وهم مظفرون ومنتصرون على أعدائهم.

وكانت هذه الإقطاعات من الأراضي، سبباً في ضعف همتهم وتخلُّفهم عن اللحاق بالمحاربين وارتباطهم بإقطاعاتهم، حيث مالوا إلى الاختلاط بالمدنيين، وألِفوا حياة الرفاهية والرّاحة والاستقرار، وتربوا على الانغماس في ملذات المدينة[٩٥]، فتغيرت أخلاقهم وفسدت طبيعتهم وأصبحوا أعداءً لأنفسهم، وتحججوا بأعذار واهية كالمرض وشدة البرد، وتعلقت قلوبهم

92- Ismail Hakki Uzuncarsili ,Osmanli Devleti Teskilatindan Kapukulu Ocaklari ,p 481.

٩٣- ساطع الحصري، مرجع سابق، ص ٤٨.

٩٤- أحمد جودت، تحقيق عبد الطيف محمد الحميد، مرجع سابق، ص ١٩٥.

٩٥- مال السباهيون عبر الإمبراطورية العثمانية كلها الى الإستقرار في مزارعهم وعقاراتهم المستقلة، ونتيجة لهذا وجدنا النظام العسكري العثماني المرن يعتريه تحول وتغيير سريعين. فالمقاتلون الذين لا جزور لهم والذين عاشوا على صهوات الجياد في خدمة جيش دائم الإنتصار، لم يكونوا يهتمون كثيراً بأصولهم، ولا أعقابهم، تحولوا الى أصحاب أراضي كسالى، يقطنون المدن في الولايات، حيث يتولى أتباعهم تسليمهم عوائد مزارعهم وعقاراتهم التي يعتاشون منها. هذا التغيير في الطبقة العسكرية العثمانية، نتيجة السماح بإنتقال أملاك العسكريين الى أبنائهم بعد موتهم، قد وجد تعبيراً عنه في قلة الحماسة الفردية أثناء المعارك، وقلة المرونة الإدارية خلف خطوط القتال.

Paul Coles,op.cit ,p 166-167.

بإقطاعاتهم ورفضوا الاشتراك في الجهاد ضد أعداء الدولة[٩٦].

وبسبب عدم حصول بعض الشرائح الدنيا في القوات المسلحة على فُرص مماثلة لما حصل عليه مُلّاك الأراضي والإقطاعات، ومع التضخم العام في الأسواق، الناتج في جانب منه، عن دخول الفضة الإسبانية الأمريكية في النظم الاقتصادية لعالم البحر المتوسط، أصبح ما يتقاضاه المحاربون العثمانيون غير كاف. وكان الحل الرسمي الذي تبنته الدولة هو السماح للنخبة العسكرية (الإنكشارية) في استغلال وقتهم الضائع بمزاولة الأعمال المأجورة، التي تدر بالنفع المادي عليهم، خارج المؤسسة العسكرية، والعمل كفنيين وحرفيين وكصنّاع في مواقعهم ومعسكراتهم، لزيادة مدخولهم من بيع ما يصنعونه، كمن سبقهم من المغامرين السباهيين، الذين بدأوا يتكيفون مع الوضع الجديد[٩٧] بعد أن كانت هذه الأعمال الحرفية والتجارية محظرة عليهم، وعلى آبائهم من قبل[٩٨]والسماح بانتساب عدد كبير من التجار إلى الفرقة، واستمرارهم في ممارسة التجارة، مما يتعارض مع قوانين الأوجاق، التي تحظر على الإنكشاري العمل المأجور خارج الجيش[٩٩].

وقد اعتمد معظم الإنكشاريين على بعض الصناعات اليدوية، ولعبوا دوراً مهماً في نشاطات بعض التنظيمات النقابية، التي كان ينتمي معظم أعضائها إلى طبقة الإنكشارية، فقاموا بتأمين الحماية وحرية الحركة لبعض عملائهم، مقابل حصولهم على معاشات ومنافع مادية[١٠٠]، وقد نشطوا في مجال النشاطات الحرفية، وخاصة في مجال البناء والشحن، وقاموا بالإتجار ببعض المواد ذات المردود الاقتصادي، كتجارة البن وامتلاك معاصر الزيتون والحمّامات والإتجار بالماشية والرقيق، وتولى قسم منهم أمانة بيت المال، كما تزعموا حركات شعبية، لدعم وتأييد تنظيمات نقابية، والدفاع عن امتيازاتها[١٠١]. وأصبح لدى بعض العسكريين ثروات هائلة، فأقدموا على التعاطي بالربا والدَّين[١٠٢].

٩٦- إسماعيل أحمد ياغي، مرجع سابق، ص ٩٤، محمود شاكر، مرجع سابق، ص١١١،١١٢، علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية، عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التوزيع والنشر الاسلامي،ط١، ٢٠٠١، ص٥٤٢، أمين شاكر، سعيد العريان، محمد مصطفى عطا، مرجع سابق، ص ٤٣

Robert Mantran ,la vie quotidienne a Constantinople au temps de Soliman le magnifique et de ses successeurs,p111.

97- Paul Coles,op.cit ,p 168.

٩٨- محمد سهيل طقوش، مرجع سابق، ص٢٥١ ،عبد العزيز الشناوي، مرجع سابق، ج١، ص ٥٠٢. خلال القرن الثامن عشر انتسب غالبية المهنيين الى فرقة الإنكشارية، وقد ارتبطت طوائف السراجين والدباغين بالولي(اخي اورن (H.A.R Gibb . and Harold Bowen , op.cit , vol 1, part 1 , p 46.

99- Ismail Hakki Uzucarsili , osmanli Devleti Teskilatindan-Kapukulu , P477-479.
Dimitri Kitsikis , op.cit ,p 100.

100- Dimitri Kitsikis , op.cit ,p 100.

١٠١- دونالد كواترت، مرجع سابق، ص٢٥٣.

١٠٢- نوفان رجا الحمود، العسكر في بلاد الشام في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلادي، منشورات دار الآفاق الجديدة،

إن مزاولتهم الأعمال المأجورة أدت إلى انغماسهم في اللهو والملذات والترف وازدياد ثرواتهم، فابتعدوا شيئاً فشيئاً عن تقاليدهم العسكرية، وتدريباتهم واستعداداتهم للقتال، بل وأصبح لا يهمهم إلا الحصول على مرتباتهم من السلطة العسكرية، فتدنت كفايتهم القتالية، وأصبحوا لا يفكرون إلا بزيادة ثرواتهم، والاشتغال بأمور الحياة الزوجية، وتعميق ارتباطاتهم بتكوينات المجتمع الأهلي، ومضاعفة قدراتهم على مقاومة سياسات السلطة المركزية، التي أصبحت عاجزة عن الوقوف بوجه هذه المؤسسة[١٠٣]. أدى هذا الى اندماجهم مع السكان الحرفيين في استانبول وغيرها من المدن، التي يوجد فيها مواقع عسكرية، وفقدوا كثيراً من نظمهم التقليدية، كما فقدوا حماسهم للقتال[١٠٤].

وكان لانشغالهم بالتجارة ومشاركتهم في عمليات الشراء والبيع، واتساع امتيازاتهم في المدن الأثر الكبير على إضعاف حماسهم الجهادي، وارتباطهم بثكناتهم العسكرية، التي أصبحوا لا يرتادونها إلا لقبض رواتبهم ومخصصاتهم المالية[١٠٥]، وعاشوا كطبقة طفيلية من ملاَّك الأراضي[١٠٦].

إن النظام العسكري والإداري الذي أنعش نفسه في بداية الأمر بالإغارات الحدودية، التي أدت الى توسيع الدولة العثمانية، قد نقل ميدان الإغارات الضارية الى قلب الإمبراطورية العثمانية نفسها، نظراً لأن المناطق الأخرى على تخوم الإمبراطورية، كانت قد ألم بها الإنهاك والفقر. فالنظام الاجتماعي العثماني غير العادي في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، والذي كان قد وصل الى ذروة التوسع، كان يتعين أن يعيد تكييف نفسه وتشكيل ظروفه، ليتمشى مع أسلوب حياة جديد، لا تتاح فيه غنائم طارئة ومكاسب مفاجئة تقذف بها الريح بغير تحسب. لقد أدت الظروف المفروضة على المؤسسات العثمانية بسبب توقف التوسع، وتدني العائد من الغنائم، الى سلسلة طويلة من الاضطرابات والمشاكل في مقر الحكم في استانبول. وعادة ما كان مثيرو هذه الإضطرابات والثورات هم الإنكشارية، وغيرهم من الكتائب السلطانية، أو طلاب العلم وعلماء الدين في المؤسسات الدينية في مدينة استانبول[١٠٧].

بيروت ١٩٨١م ، ط١، ص١٧٨- ٢٠٤.

١٠٣- حسن الضيقة، مرجع سابق، ص ١٠٢.

104- Paul Coles,op.cit ,p 168.

١٠٥- محمد عبد اللطيف البحراوي، حركة الإصلاح العثماني، ص ٥١، محمد أنيس، مرجع سابق، ص ٢١٤، رجب حراز، مرجع سابق، ص ١٥.

106- Paul Coles,op.cit ,p 168.

107- Paul Coles,op.cit ,p 170-171.

ط-إقدام الإنكشارية على بيع تذاكرهم (البطاقة العسكرية)

التذكرة أو البطاقة العسكرية هي المستند الرسمي، الذي يخول الإنكشاري الإنتماء إلى سلك الجيش وإلى فرقة الإنكشارية، والانضواء تحت لوائها، كما تخوله الحصول على الراتب المخصص لرتبته.

لقد سمحت الدولة لكل من يمتلك وثائق الهوية (أسامي أو هوية التجنيد) التي يقبض بموجبها الإنكشارية مرتباتهم وأعطياتهم، أن يبيعها لمن يشاء، مما فسح المجال أمام قادة الإنكشارية لأن يستفيدوا من هذه البدعة، عبر كتمانهم عن الشواغر التي تحصل في جيشهم، واستصدار وثائق أخرى جديدة يستفيدون من مبالغها، أدى ذلك إلى انتقال هذه الوثائق إلى أشخاص غرباء عن الجيش الذي اقتصرت أعداده على الضباط فقط[١٠٨].

وأصبح من يشتري هذه البطاقة جندياً في الفرقة، حتى ولو كان من عامة الناس، الذين لا يحق لهم الدخول إلى السلك العسكري. وكان من بين الذين اشتروا هذه البطاقات سيدات أقدمن على شرائها للاستفادة من الإمتيازات العسكرية[١٠٩].

وفي حال تأخر دفع المرتبات (العلوفة) لمستحقيها من العسكرين، كان يلجأ هؤلاء إلى الفوضى والتمرد والعصيان، للحصول عليها بقوة السلاح، وإذا لم تستجب السلطة السياسية لأسباب معينة، كان الإنكشاري يقدم على بيع هذه البطاقة والحصول على البدل المادي المناسب.

٤- العوامل النفسية

لعبت عدة عوامل نفسية، دوراً مهماً في إنحراف وفساد الإنكشارية وحيادها عن صوابها ومن أهمها:

أ- الغرور بالنفس

نظراً للبطولات والأعمال الحربية الباهرة، التى قام بها الإنكشارية في بداية تأسيس الجيش العثماني، أكسبتهم ثقة ومحبة السلاطين العثمانيين، واحترام وتقدير عموم المواطنين، وإدخال الرهبة في نفوس الأعداء، فازدادت مساحة الدولة العثمانية وسطرت الانتصارات والأمجاد. كل ذلك ألهب الحماس في نفوس الإنكشارية، وأدخل الغرور إلى قلوبهم، فاستشعروا بقوتهم ومكانتهم في الجيش العثماني، واعتبروا أنفسهم منزهين ومتميزين، وعلى السلاطين أن ينفذوا جميع طلباتهم، وأن ينالوا محبتهم وتأييدهم. دفعتهم هذه المشاعر والهواجس إلى القيام بحركات

108- H.A.R Gibb and Harold Bowen , op.cit , vol 1 ,part 1 , p 180,181.

١٠٩- خلف الوذينياني، مرجع سابق، ص ١٦٦، عبد العزيز نوار، مرجع سابق، ص ٨٦،٨٧.

التمرد والعصيان وافتعال المنكرات[١١٠].

ب- رفض التحديث ومحاولات الإصلاح

بسبب الانتصارات والفتوحات التي أحرزوها في ساحات القتال، ظن الإنكشارية أنهم ملهمون، وتتوفر لديهم جميع المؤهلات والصفات الحميدة، التي تجعلهم يتغلبون دائماً على أعدائهم، حتى ولو كانوا منظمين ومسلحين بأحدث أنواع الأسلحة والتقنيات المتطورة.

هذه الهواجس المترسخة في أذهانهم، حملتهم على رفض محاولات الإصلاح والتطوير التي قام بها القادة والسلاطين، وتقليد الأمم الأخرى الضالة، وعدم الأخذ بما يقدمه الكفار من تقنيات حديثة، والحفاظ على سلاح الفروسية الذي يعظّمه الإنكشاري ويبرع باستعماله، ورفض كل محاولات التحديث واستعمال السلاح الناري، الذي هو تقليد للكفار[١١١].

وكانت رواية الحاج بكتاش قد أكسبتهم ثقة بأنفسهم، وبأنه فعلاً حمل همومهم على أكتافه وباركهم، ودعا لهم بالنصر المؤزر على الأعداء منذ عشرات السنين.

وكان هذا الدعاء بمثابة الرحمة التي ستتنزل على قلوبهم في ساحات القتال، فيرهبون عدوهم بهذه النفحات الإيمانية، التى خصهم بها وليُّهم الحاج بكتاش، وعليه فلا حاجة لهم بأية تقنية حديثة، طالما أن النصر حليفهم دائماً، وطالما أن دعوات الولي تلاحقهم إلى الأبد.

وقد زاد من ثقتهم بأنفسهم، وقوف العلماء وشيوخ الإسلام إلى جانبهم في معظم أعمال العصيان والتمرد، فاستغلوا تلك الفتاوى الشرعية، وقاموا بالضغط على السلاطين والاستبداد بهم[١١٢].

لهذه الأسباب جميعها، احتدم الصراع بين أقطاب السلطة، الذين عملوا ما بوسعهم لتعزيز قدراتهم المعنوية والعسكرية، عبر تنفيذ بعض الإصلاحات، وبين المؤسسة العسكرية الفاشلة والمتصدعة، التي تآكلها الفوضى، وفقدت مقدرتها الحربية، وعانت من الهزائم المتتالية، وأصبحت داءً خطيرا يهدد قيام الدولة العثمانية، ما أدى بدوره إلى فساد الدولة على الصعيد الداخلي، وتخلخل النظام العام خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلادي. وبالرغم من ذلك كله لم يجد السلاطين بديلاً عن الإنكشارية، التي افتقدت سطوتها الحربية ومقومات وجودها، كونها السلاح التقليدي الأوحد المتوفر على الساحة العثمانية[١١٣].

١١٠- إسماعيل ياغي، مرجع سابق، ص ٩٥، محمد عبد اللطيف البحراوي، حركة الإصلاح العثماني، ص٨٢،٨٣.

١١١- سيد مصطفى، مرجع سابق، ص٦٨،٩٩.

112- Halil Inalcik, The Ottoman Empire ,The Classical Age,p 63.

١١٣- قيس جواد العزاوي، الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الإنحطاط، الدار العربية للعلوم بيروت١٤٢٤هـ ،٢٠٠٣م ، ط٢ .ص ٥٣ .

الخاتمة

من خلال دراستي لعوامل ضعف الانكشارية، وبعد عرض المعلومات التي استقيتها من بطون المصادر والمراجع والدوريات، وصلت الى استنتاجات هامة، أجابت على إشكاليات الأطروحة، سأحاول أن أختصرها بما يلي :

- منذ بداية إنشائها وحتى منتصف القرن الخامس عشر، اقتصر وجود فرقة الإنكشارية على مجموعات من أسرى الحروب، عملت الدولة على تنشئتهم، وإلحاقهم بتشكيلات الدولة العسكرية أو الحرس السلطاني، واقتصر دورهم على المجهود العسكري الإيجابي في خوض الحروب وتسطير الانتصارات.
- الإنكشارية اسم أطلق على عساكر الدولة العثمانية، الذين اعتمدت عليهم في توسيع رقعتها ونشر الدين الإسلامي بين ربوعها، وتتريك السكان في الأراضي المفتوحة، بناء لاقتراح قاضي بورصة «جندرلي قره خليل»، أحد مستشاري أورخان، الذي يقضي بجمع أسرى الحرب من الشبان في ثكنات خاصة بهم، دون السماح لهم بالزواج وتكوين الأسر، وعزلهم عن بيئتهم وأهلهم والقيام بتربيتهم تربية إسلامية، لا يعرفون بموجبها إلا السلطان أباً، والجهاد في سبيل الله مهنة وعملاً، وهبوا أنفسهم للدفاع عن الدين والملّة والسلطان، الإسلام عقيدتهم والقرآن الكريم كتابهم، والسلطان العثماني والدهم والحرب مهنتهم.
- لم يكن الإنكشارية سوى فرقة واحدة من فرق الجيش العثماني الذي يتكون من عدة فرق.
- كان الإنكشارية منذ نشأتهم، أقوى فرق الجيش العثماني وأعتاها، وأكثرها نفوذاً وشجاعة واستبسالا في القتال، وقد ساهم نظام الحكم في الدولة العثمانية، بوصول قسم كبير منهم إلى مراتب عالية في المؤسسة العسكرية، وتولى الكثير منهم مناصب قيادية مدنية، سطروا أروع البطولات في ساحات القتال، وشكلوا ثقلاً عسكرياً كبيراً لمصلحة الدولة في الحروب. لقد أبلوا بلاءً حسناً في كافة المعارك التي خاضها العثمانيون إبان قوتهم، حيث كانوا يندفعون كالأسود في ساحات القتال.

لكنه مع مرور الزمن بدأ الوهن يتسرب الى صفوفهم، عندما اختلطوا بالمدنيين، وكثرت تعدياتهم وفسدت طبيعتهم وتغيرت أخلاقهم وتبدلت مهمتهم، وتعلقت أفئدتهم بشهوة السلطة وانغمسوا في الملذات والمحرمات، وشق عليهم أن ينفروا في أوقات البرد الشديد، ومالوا الى النهب والسلب والغزو، وتحولوا إلى عبء ثقيل على الدولة، ومراكز قوة خطيرة منذ نهاية القرن الخامس عشر نتيجة إحساسهم بأهميتهم ومقدرتهم القتالية. كما مارسوا مختلف وسائل الضغط على السلاطين، من حركات تمرد وعصيان، للحصول على مطالبهم الشخصية حيناً، وللتدخل في أمور

السياسة العليا للدولة أحياناً أخرى، فقاموا بالتعرض للسلاطين والصدور العظام، من قتل وعزل وإساءات، وارتكبوا أبشع المنكرات، وبلغ بهم الغرور إلى الغوص في متاهات السياسة العليا للدولة، من خلال مطالبتهم بخلع السلاطين، متذرعين بحجج واهية، منها عدم تحمس السلاطين لخوض غمار الحروب، وعدم حصولهم على غنائم ومكافآت، كما أجبروا السلاطين على إعطائهم المنح وكرسوها عرفاً دائماً، كلما تقلد أحدهم مقاليد السلطنة، ووصل إلى سدة الحكم [١١٤].

- لجأ السلاطين إلى إستمالتهم، والحصول على محبتهم، بإغداق الإنعام عليهم، والتملق لهم خوفاً من التفريط بهم. وقد أقدموا على خلع وعزل وقتل عشرة سلاطين، يمثلون حوالي ثلاثين في المئة، من مجموع سلاطين آل عثمان السبعة والثلاثين، عن عرش السلطنة العثمانية . ووصلوا إلى مستوى عال من الفوضى، والتطاول على الأوامر والتعليمات التي كانت تصدر بحقهم، فلم ينفذوا إلا الأوامر التي تخدم مصالحهم الشخصية، وتحولوا من أداة للظفر إلى أداة للتخريب والهزيمة.

في أوقات الحرب كانوا يشنون الحروب طمعاً بالنهب والسلب، ويجبرون السلاطين على تنفيذها. وإذا رأوا في ساحات القتال، أن مصالحهم تتعارض مع مصالح الدولة العليا، أوقفوا الزحف وأجبروا قادتهم على توقيع المعاهدات، وعادوا أدراجهم إلى وطنهم. وإذا أرادوا نهب المدن التي يحتلونها، فلا تردعهم المعاهدات، ولا يلتزمون بأية قرارات تصدرها السلطة العليا.

- وعند حلول القرن السابع عشر الميلادي، بدأ قصور الناحية العسكرية يظهر جلياً لدى الإنكشارية، بسبب استخدام الأسلحة التقليدية غير المواكبة لتطورات المرحلة السائدة، ونظم الحرب المتطورة، بالإضافة إلى الخسران المبين في معظم المعارك العسكرية، والثورات والتمرد الدائم.
- سار في نهج الإصلاح عدة سلاطين، لكن الإنكشارية كانوا يقابلون النظام الجديد بالمعارضة الشديدة، نظراً لخطورته على مستقبلهم، وخوفاً من اندماجهم في فرق جديدة تقضي على وحدتهم وتؤدي إلى اضمحلالهم وتفرقهم.
- قاموا برفض جميع الأفكار والذرائع التي قدمها سلاطين الدولة، انطلاقا من إنشاء فرق عسكرية جديدة، منظمة تنظيماً حديثاً على أحدث الطرق والتقنيات الأوروبية، وانتهاء بمنحهم الأعطيات والمنح، في حال رفضهم مسيرة النظام الجديد، متذرعين بأن مباركة الحاج بكتاش (ولي الله) لجماعتهم منذ إنشائها، ودعوته لها بالنصر المؤزر على الأعداء،

١١٤- تعددت المنح والعطايا التي كانت تمنحها الدولة العثمانية للإنكشارية، وأهمها العطاء الذي منح لهم بمناسبة تولي السلطان سدة الحكم، والعطاء بمناسبة المشاركة في الحروب والفتوحات، والمنح التي كان يقذفها عليهم الصدر الأعظم في مناسبات مختلفة، والعطاءات بمناسبة المولد النبوي الشريف وغيرها، وكثيراً ما أثقلت هذه الهبات كاهل خزينة الدولة العثمانية وأرهقته .

هما كافيين لاستمرار الفرقة وأنهم يتمتعون بالقدرة القتالية الكافية، وبالدعم المعنوي من وليهم الروحي الحاج بكتاش.

- يعتبر السلطان سليم الأول، من أول السلاطين العثمانيين الذين عانوا من الدور السلبي الذي مارسه الإنكشارية، في سياسة الدولة العثمانية العليا، قبل وصوله إلى سدة الحكم. وقد كانت له تجربة قاسية ومرة معهم، أثناء حربه مع الدولة الصفوية، بعد معركة تشالديران ٢٢آب ١٥١٤م.

من أهم أسباب انخفاض الروح المعنوية وعوامل الضعف لدى الإنكشارية :

١) تقاعس السلاطين عن قيادتهم الى الحروب، وتفويض الصدور العظام بهذه المهمات.
٢) إقدام اليهود على خفض قيمة العملة.
٣) تأخر دفع الرواتب.
٤) نضوب الغنائم بسبب توقف الفتوحات.
٥) السماح للإنكشارية بالزواج.
٦) بروز سلطة الحريم، النزاعات الداخلية ودور الإنكشارية لحسم تولي السلطة.
٧) تطابق مصالح الطبقة الدينية مع مصالح الإنكشارية.
٨) فقدان الإنكشارية انضباطها وتسلطها على الآمنين.
٩) مطالبة الإنكشارية بالعطايا والبخشيش.
١٠) زيادة أعداد الإنكشارية.
١١) حصول الإنكشارية على إقطاعات زراعية والسماح لهم بمزاولة التجارة والصناعة والأعمال الحرفية.
١٢) إقدام الإنكشارية على بيع تذاكرهم (البطاقة العسكرية).
١٣) الغرور بالنفس.
١٤) رفض التحديث ومحاولات الإصلاح.

المصادر والمراجع

أولاً-المصادر

المؤلفات العربية

١) ابراهيم أفندي، الطبيب الأول للعساكر الشاهانية في مدينة بيروت، مصباح الساري ونزهة القاري، بيروت ١٢٧٢هجرية، ط١.

٢) أحمد جودت باشا، تاريخ جودت، ١٢ مجلد، استانبول.

٣) محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العثمانية العلية، تحقيق الدكتور إحسان حقي، دار النفائس، بيروت ١٤٠٨هـ١٩٨٨م، ط٢ .

المصادر المعربة

- أكمل الدين إحسان أوغلي، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، تعريب صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ،استانبول ١٩٩٩م، جزأين .
- يلماز اوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سلمان، مراجعة وتنقيح د.محمود الأنصاري، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، جزءين، استانبول١٩٨٨م .
- شكيب ارسلان، ترجمة حسن السماحي سويدان، تاريخ الدولة العثمانية، دار ابن كثير ،ط٣

ثانياً-المراجع

المراجع التركية

1) Ismail Hakki Uzuncarsili. Osmanli Tarihi 1cilt 5. baski basimevi Ankara 1988.

2) Osmanli Devleti Teskilatindan Kapukulu Ocaklari ،Acemi Ocagi ve Yeniceri Ocagi.Turk Tarih Kurumu Basimevi –Ankara 1988.

3) Midhat Sertoglu ،Osmanli Tarih lugati ،Enderun Kitabevi ، Disgi-Baski Eskin Matbaasi. Istanbul ،1986.

المراجع الإنجليزية والفرنسية

1) Dimitri Kitsikis ،L›Empire Ottoman ،Presses Universitaires de France،paris 1985. troisieme edition corrigee .

2) H.A.R. Gibb and Harold Bown ،Islamic Society and the west. Oxford University Press 1957.

3) Halil Inalgic،The Ottoman Empire ،The Classical Age 1300-1600،Poenix Press ،5 Upper Saint Martins Lane ،London ،WC2H 9EA.

4) Lavisse Ernest et Rambaud Alfred. Histoire Generale du quatrieme Siecle a nos jours ،12 Tomes،Paris 3eme edition ،1922.

5) Paul Coles ،The Ottoman Impact On Europe ،Thames and Hudson ،London ،1968.

6) Robert Mantran ،Histoire De L›Empire Ottoman،Publie› avec le concours du Centre national des letters ،Libraries Artheme ،Fayard 1989.

7) La Vie Quotidienne A Constantinople Au Temps De Soliman Le Magnifique Et De Ses Successeurs (XVI Et XVII Siecles) ،Librairie Hachette 1965.

8) Yves Ternon،Empire Ottoman ،Le declin ،La chute ،L'effacement. Editions Michel De Maule،2002.

المراجع العربية

- أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق القاهرة، ط ٢، ١٩٩٣م.
- اسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان الرياض ١٤١٦م.
- أمين شاكر، سعيد العريان، محمد مصطفى عطا، تركيا والسياسة العربية، من خلفاء آل عثمان الى خلفاء أتاتورك، دار المعارف، مصر.
- حبيب السيوفي، الإنكشارية في الدولة العثمانية، بيروت، مطبعة الرحبانية المخلصية ١٩٤٠م.
- حسن الضيقة، الدولة العثمانية الثقافة والمجتمع والسلطة، دار المنتخب العربي، بيروت ١٩٩٧م
- خلف بن دبلان بن خضر الوذيناني، الدولة العثمانية والغزو الفكري حتى عام١٣٢٧هـ ١٩٠٩م، رسالة دكتوراه مطبوعة، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية ٢٠٠٣م.
- رجب حراز، الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب، القاهرة المطبعة العالمية ،١٩٧٠م .
- ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، دار العلم للملايين، بيروت١٩٦٥م، ط٣.
- سيد محمد السيد، السلاطين العثمانيون، دار الصحوة، القاهرة، ١٩٩٦م، ط١.
- شاكر النابلسي، عصر التكايا والرعايا، وصف المشهد الثقافي لبلاد الشام في العهد العثماني (١٥١٦-١٩١٨م) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ،١٩٩٩م، ط١.

- عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، مكتبة الأنغلو المصرية القاهرة، ١٩٨٤م، ثلاثة أجزاء.
- أوروبا في مطلع العصور الحديثة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٥م، ط٢.
- عبد العزيز نوار، تاريخ الشعوب الإسلامية، العصر الحديث، القاهرة، دار الفكر العربي ١٩٩٨م.
- عبد الكريم رافق، العرب والعثمانيون ١٥١٦-١٩١٦م، دمشق ١٩٧٤م، ط١.
- علي حسون، تاريخ الدولة العثمانية، المكتب الإسلامي، بيروت،١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م، ط١.
- علي محمد الصلابي،اسباب السقوط وعوامل النهوض، دار التوزيع والنشر الاسلامي،ط١، ٢٠٠١
- قيس جواد العزاوي، الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الإنحطاط، الدار العربية للعلوم بيروت١٤٢٤هـ ،٢٠٠٣م ، ط٢ .
- محمد التونجي، بلاد الشام إبان العهد العثماني، دار المعرفة، بيروت٢٠٠٤م، ط١.
- محمد أنيس، الدولة العثمانية والشرق العربي(١٥١٤-١٩١٤م)، القاهرة، مكتبة الأنغلو المصرية، ١٩٩٣م .
- محمد جميل بيهم، فلسفة التاريخ العثماني، أسباب انحطاط الإمبراطورية العثمانية وزوالها بيروت١٩٥٤.
- محمد سهيل طقوش، العثمانيون من قيام الدولة الى الإنقلاب على الخلافة، ١٢٩٩- ١٩٢٤ م، دار بيروت المحروسة ١٤١٥هـ ،١٩٩٥م، ط١.
- نهدي صبحي الحمصي، أضواء كاشفة على الخلافة العثمانية، دار لبنان للطباعة والنشر بيروت ٢٠٠٢-٢٠٠٣م .
- نوفان رجا الحمود، العسكر في بلاد الشام في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلادي منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٨١م، ط١.

المراجع المعربة:

- خليل اينالجيك، بالتعاون مع دونالد كواترت، ترجمة الدكتور عبد اللطيف الحارس، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية، المجلد الأول١٣٠٠-١٦٠٠م، دار المدار الإسلامي ٢٠٠٧م، ط١.
- خليل اينالجيك، دونالد كواترت، بالتعاون مع ثريا فاروقي، بروس ماك غوان، شوكت باموك،

ترجمة الدكتور قاسم عبده قاسم، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية المجلد الثاني١٦٠٠-١٩١٤م، دار المدار الإسلامي ٢٠٠٧م، ط١.

- دونالد كواترت، الدولة العثمانية ١٧٠٠- ١٩٢٢م، تعريب أيمن أرمنازي، مطبعة العبيكان الرياض، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤م ، ط١.
- كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٥م،ج٢، ط٤.

الدوريات

- محمد عبد اللطيف البحراوي، من خصائص تاريخ العثمانيين وحضارتهم، مجلة الدارة، العدد الرابع ١٩٨٨م.

المعاجم

- سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض ٢٠٠٠م ،ط١.